# ورأيناه شيطانًا

محمود خواجه

ورأيناه شيطاناً
محمود خواجه
الغلاف: عبير محمد
رقم الإيداع : ٥٥٥
ترقيم دولي: ٨٨٨

دار فصلة للنشر و التوزيع
٥٧ حي الزهور الزقازيق - مصر
٠٠٢٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
www.fasla.org

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي يناير ٢٠١٦

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني
أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار
يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

# ورأيناه شيطاناً

محمود خواجه

دار فصلة للنشر و التوزيع

# إهداء
## من نوع خاص

ستظل تلك السطور محفوظة لهؤلاء الأشخاص الذين ساعدونى للوصول إلى هذا المقام مهما كانت درجته بالنسبة لك، أبى وأمى حفظهما الله إليّ، إخوتى (محمد و أحمد و مصطفى)، لن أنسى أبدًا يوم جعلتونى أَكتب دون قيود المذاكرة والدراسة.

أشكركم من كُل قلبى، فأنتم خير عون لي فى الدُنيا.

إلى ذلك الشخص الذى يحترق شوقاً لأجل أن يعرف.. الحقائق دوماً مؤلمة، تجنبها كى تعيش بسلام.

# الفصل الأول

- إنى أعرفك جيدًا..

طرقت تلك الجملة مسامعى، وكأن من قالها كان شيطانًا بحق، شعرت برؤيتى له باهتة، غير واضحة، لا أعلم، هل كان شيطانًا حقًا؟!، كان ينظر لى بعدم إكتراث، دخان سيجارته يخرج من بين شفتيه ذاهبًا نحو الريح.

تلك الرقعة البيضاء الموضوعة على عينه اليُسرى، الصلع يغزو رأسه، رغم سنه العجوز لكن وجهه كان يدل على أنه شابًا، رياضيًا، لكن جسده يحول عكس ذلك.

إبتسمت له فى توتر:

- بالتأكيد أنت تعرفنى، فأنت جالس معي فى نفس السيارة!

برزت أسنانه الصفراء فى تشفٍ، لا أفقه شيء، لا أعرف سوى أشياء قلائل عن هذا الشخص الغامض، المدعو (عباس).

لا أذكر سوى أن عَمى (شاكر) أخبرنى مُنذ أيام أن يجب علي أن أعمل، وأقوم بنفس العمل الخاص بالحاج (زايد).. والدي، رحمه الله، لقد مات بعدما ترك

العمل فى موقف (عبود) كسائق حافلة من القاهرة إلى الأسكندرية، واتته فرصة عمل لإحدى رجال الأعمال لكى يعمل عنده سائق خاص، فترك أبي العمل هُناك، وذهب ليعمل عند رجل الأعمال الذى لا أعرف شيئًا عنه!

وفى يوم مُظلم كأعين الرجل ذلك!، علمت أن أبي مات فى حادثة، ومعه عائلة رجل الأعمال.. كاملةً، كُنت طفلاً، شريدًا تائهًا، لا أعرف شيئًا فى تلك الدُنيا سوى بعض الشخوص، لم أرتاح لرؤيتهم قط، مثل ذلك الشخص المدعو (عباس) .

جاءنى العم (شاكر) مُنذ بضعة أيام ليخبرنى بأن هُناك شخص ما يجب أن أزوره، كى يعلمنى قيادة السيارات، سيكون فى تمام الساعة السادسة مُتربصًا أمام الموقف.. ينتظر قدومى.

وإذا بى معه فى سيارته، أجلس بجانبه، يعلمنى أساسيات القيادة بأكملها، لم أكن أفقه شيئًا عن القيادة، لذلك أتعبته معي، لكن إبتسامته المخيفة.. كُنت أظنها ستُخفف قلقى، بل أُزيدته!

القلق لم ينته، وددت أن أسأله الكثير، وأول سؤال خَطر ببالى، ما الذى حدث لأجل أن تُفقأ عيناه؟!، لكنى شعرت بالحرج والخجل من سؤاله، فظللت ساكتًا بجواره، أنتظر أن يَطّل علي بالكلام الكاسر لذلك الشيء المُسمى بالملل.

كُنا على الطريق الصحراوى، نسير بسرعة كبيرة جدًا، وبعد الكثير والكثير من الصمت، أخبرنى:

- هل تود معرفة كيف فُقأت عيناى؟!

شعرت بجماعات من النمل تآكل عقلى، كيف لهذا الرجل أن يعرف ما يدور بخلدى؟!، نظرت له، فوجدته ينظر إلى الطريق والسيجارة بين فمه، قُلت:

- نعم..

مُحيت الإبتسامة من وجه (عباس)، فوجدته يقول:

- يالها من حكاية سيئة، طويلة، لكنى سأقصها عليك.. فكلما قصصتها على أحد، كُلما أشعر بالإرتياح اللحظى الذى لا يدوم كثيرًا.

بدأت أتنفس القلق، أشعر به يحدنى من جميع الجوانب، فإذا بي أصمت تمامًا، مُصغى آذانى للحديث:

- الزواج.. مسؤولية كبيرة، حمل عتيق يقسم ظهرك، لكن لم أعرف معنى هذا.. الزواج.. إلا فى ذلك اليوم المشؤوم الذى شربت فيه الكثير من الخمر والحشيش، غازلت إحدى الفتيات السمينات، كم عشقتهم، لم أرى شيئًا أمامى بسبب الحشيش، ذهبت إلى البيت مُترنحًا، أسقط فى كُل ثانية على الأرض، إلى أن أضحك بشدة على نفسى، وأستعد قوتى على التحمل فأنهض للذهاب.

إزدرد ريقًا جافًا، فأخذ نفسًا من سجارته تزحف به النيران على أرضها فُتنشأ الرماد و الدخان، ثم أستطرد:

- وَصلت البيت أُغنى كالمخابيل، وجدت زوجتى جالسة على الأريكة، أمامها إبنى، مُلقى على الأرض، سابحًا فى دماءه، أغمضت عيناى مرارًا وتكرارًا حينها، لكن لا جدوى، فأرى كُل شيء يتراقص أمامى، وكأنى بداخل جُحر إبليس، الألوان الحمراء توجد فى كُل مكان، أراها هُنا وهُناك، إذا ما العمل؟!، أذكر أنى أغمضت عيناى وفتحتهما وجدت زوجتى تمسك وجهى وتهزنى بشدة، وتقول:- أنت لا تستحق أي شيء، أنت تستحق أن ترى النصف من العالم- .

عَقدت حاجباى، مُطبقًا على فمي، فشرع فى الشرح:

- تقصد أننى لا أستحق الحياة، ولا أستحق أن أرى إلا النصف فقط من أى شيء.. وهذا ما حدث فعلاً.

إنتهت السيجارة، فألقى العقب بخارجها تمامًا، ارتطم الهواء بى، فشعرت بتلك اللذة، التى تأتى حينما تواتينا الماء بعد ظمأٍ دام لساعات، فأردف:

- ووجدتها تغرز السكين داخل عينى اليُمنى بقوة، لم أرى شيئًا إلا ذلك الظلام، لكن صوت صراخى كان كفيلاً بإيقاظ العمارة بأكملها، وآخر ما رأيته كان وهى تخرج من الشقة، ثم ذهبت إلى الظلام.

أخرج علبة السجائر الخاصة به، والتى كانت – كليوباترا - ، أردء أنواع السجائر، أخرج واحدة وإلتهمها بين شفتيه، ثم أشعل اللفافة بإحترافية شديدة، وأكمل:

- وعندما إستيقظت، علمت إن إبنى قد مات نتيجةً لإهمالى، وتم حَبسى بتهمة قتل إبنى، بالرغم من إنى لم اقتله، حُبست ظُلمًا بداخل السجن، وخرجت بعد عامين، بعدما خففوا عنى الحُكم، أما زوجتى فهربت لمكان لا أعلمه.

ضحكت، مُحاولاً لتخفيف تلك الأجواء الجدّية القاتمة، فأخبرته:

- إذًا أنا أجلس الأن مع رَد سجون؟!

وَجدته يبتسم لي، ويرمقنى بنظرة لم أفهم معناها قط:

- وباحثًا عن الإنتقام أيضًا.

لم أفهم معنى ذلك!، لكنى إبتسمت له، إبتسامة أزادت الخوف بداخلى..

صوت ضحكاته الغامضة تَدك أذنى دَكًا..

ثم هدأ الوجود بغتة.

وجدته يتوقف فى إحدى جانبي الطريق، ويقول لي بإبتسامة سخيفة:

- أعذرنى، سأتبول..

خَرج من السيارة فى هدوء، اتجه يمينًا فى إحدى الطرق التى لا يراه فيها أحدًا، وظللت أنا جالسًا، أُفكر فى ذلك الشخص، لا أعلم ما كينونته، لا أعلم ماضيه، أظن أن هذا الكلام الذى يقوله كلامًا مُلفقًا، لا يَمت للواقع بصلة، وجدته قادمًا من بعيد، استقل السيارة وأدار المُحرك، إنطلقت السيارة تعدو فوق الطريق بسرعة، فشعرت بفمى يُطلق سؤالاً:

- إذا.. هل هي قتلت إبنها؟!
صَمت لبضع ثوانٍ، وذرف نفسًا عميقًا، أحسست بهمومه كُلها تَخرج فى ذلك النفس، فقال لي والحُزن يقتل عينه الباقية:
- كان إبنى مريضًا، قلبه ضعيف، عنده صممات، يسعل بين الحين والأخرى دماءًا، وفى كُل مرة أحاول أن أنجده، بسبب كثرة همومى ومتاعبى، قررت أن أبعد عن هذا الواقع الأليم.. وذهبت للأصدقاء لكي يجعلونى أنسى، بإحدى لفائف الحشيش وزجاجات الخمر.. وبالفعل نسيت، وعندما ذهبت إلى البيت وجدته قد فارق الحياة، لأنى لم أنقذه!، ولم تستطع زوجتى إنقاذه.
أخذ آخر نفس من السيجارة مُجددًا وألقاها من النافذة، ثم توقف فى إحدى جانبي الطريق مَرة أخرى، فنظر لى:
- لا تُحاول أبدًا أن تثق فى أى بشرى.. حتى لا تثق فى نفسك..
لم أفهم سبب قوله لهذه الجملة، لكنى أومأت برأسى عدة، فأردف:
- أحسنت.
ثم أدار المُحرك، وقال:
- باق عشرة كيلو.. إقتربنا من الأسكندرية.

* * * * *

وَصلنا موقف الأسكندرية، رأيت جميع أنواع البشر فى ذلك الموقف، من يَرتدى حُلة فاخرة ونظارة فاخرة وحذاء فاخر وفي يده اليُمنى حقيبة فاخرة، لكن الزحام كان غير طبيعى على جميع الحافلات.
نَزلنا من السيارة، وعلى وجهى إبتسامة كبيرة، مُهللة لذاك المَوقف الذى سأذهب إليه يوميًا، لكن ما جعل إبتسامتى تخيب وتعود حيث جاءت، تلك الرائحة النتنة التى لا أعرف من أين جاءت! فوجدت (عباس) يضحك بشدة حتى أغرورقت

عيناه:

- يبدو أن الرائحة وَصلت لك.

تعجبت، من أين عَرف ذلك الرجل؟!، إنه لرجل غامض بحق، فأستطرد:

- إنها رائحة الكبدة، فى ذلك الموقف يتم ذبح أكثر من خمسمائة كلب لكي يتم عمل الكبدة تلك، لكن صدقنى، تلك الكبدة من أروع الـ(كِبد) التى ستأكلها فى حياتك.

شعرت بالسخط، بإبتسامة حاول إخفاء الغموض بها، أردف:

- ما رأيك أن نأكل إثنين؟! يجب أن تذوقها يا (صالح) .

شعرت بمعدتى تنقلب رأسًا على عقب، فقُلت له:

- أشكرك.. لكن بطنى ترفض ذلك تمامًا.

ضحك الرجل، ثُم قال بعدما هدأ:

- يجب أن نأكل فى مطعم آخر.

* * * * *

عندما انبثق نور الفجر، كانت جولتنا إنتهت تمامًا، فى العودة أنا من قُدت السيارة، كُنا سنهلك، لولا (عباس) الذى جعلنا نصل بسلام، كان يُصحح لى أخطاءى دومًا، يساعدنى فى التغلب على المطبات الصناعية.

أوصلنى (عباس) إلى حارتى ببولاق، لم يجعلنى أدفع مليمًا واحدًا فى الغداء، ولا زجاجات الكولا التى تجرعناها فى الطريق، كان رجلاً كريمًا.

عندما وَصلت إلى البيت.. سألته:

- هل هذا التعب طبيعى؟! أنا مُرهق بشكل كبير.

سمعت نبرة صوته تُطلق نغمة جديدة مليئة بالراحة:

- ستتعلم مع الوقت وستتأقلم، وستشعر أن هذا التعب هو من يُحلل لك

يومك.
أومأت برأسى، صافحته شاكرًا على ذلك اليوم اللطيف، فسألنى:
- كم عُمرك؟!
نَظرت لعينه فى حَرج، وتكلمت:
- ثلاثون..
إبتسم فى رضا، وقال:
- لازلت شابًا. . أراك قريبًا.
وعاد بالسيارة ليخرج من الحارة، فسألته:
- هل سأراك مُجددًا؟!
برزت أسنانه الصفراء، وأستعد بالسيارة لكى يخرج تمامًا من الحارة، فقال لي بصوت عال:
- لن يأت يوم ويذهب، إلا وأنت ترانى.
لاح الخوف بعينى، كُل كلمة ينطقها ذلك الرجل تُثير الخوف والغضب والقلق بداخلى فى آن واحد، لكنى سأتحدث معه فى الغد.. وسأعرف كُل شيء.

* * * * *

بعد ثلاثة عشر ساعة من النوم المتواصل، إستيقظت على صوت جَرس الباب ودَقه بسرعة، إنتفضت مُهرولاً نَحو باب البيت، فوجدت (عباس) يقف أمامه، مُبتسمًا، وسامته تزيد بالرغم من تجاعيد وجهه، وجهه مليء بالعرق، لا أعلم لِمَ ذلك الرجل يحمل الكثير من الحُزن بداخل عينه؟!، أوهل بسبب إبنه الذى مات بسببه؟!، بالتأكيد نعم.
دَخل (عباس) بدون سابق إنذار، كان فى يديه شيئًا كبيرًا نسبيًا، جَهزت كلمات لأسئله بها، فيقول والتعب يقتله:

- ستجد بضعة أشياء فى المدخل، إنزل خُذها بسرعة.

النوم لم يتركنى، بل كان مُتعلقًا بي كقردٍ متعلق بشجرته، نزلت مُترنحًا، وجدت أشياء كثيرة، منها ذلك المُربع المُجسم أمامى على هيئة زجاج، وشيء صغير آخر بجواره، حَملت سائرها، كانت ثقيلة بحق، صعدت إلى البيت وأنا أتسائل، كيف عَرف (عباس) الطابق الذى أقطن فيه؟!

هل سأل الجيران؟! أم ماذا؟!

وَجدته جالسًا مُتعبًا بشدة، مُمسكًا بيده كوب من الماء يشرب منه، وَضعت الأشياء على مقربة منه، فدنوت منه لكي أسأله:

- ما هذا؟!

أغمض عينه ومدد رأسه للخلف:

- ذلك ما يُسمى بالكمبيوتر، عملية سرقة جديدة. .

إرتعشت فور ما سمعت الجملة الأخيرة (عملية سرقة جديدة)، شعرت بالخوف الشديد تجاهه، فوجدته يضحك ويهدأنى:

- لا يوجد داع للقلق.. أكُنت تحلم فى يوم أن يكون عندك كمبيوتر؟!!

نَظرت له فى غير فهمٍ، فأخبرته:

- أنا لا أعلم أصلاً ما هو الكمبيوتر؟! وما فائدته!

ضحك الرجل:

- يا (صالح)، ألا تعلم ما هو الكمبيوتر؟!

ثُم غمز بعينه الباقية:

- ألا تعرف ما هى الأفلام الإباحية..

لم أدعى الكذب، فأنا فعليًا لم أكن أعرف شيئًا مما يقوله، يظننى خجولاً، لكن أنا لست كذلك، فقال لي:

- يجب أن نُركب الكمبيوتر ذلك، وسأعلمك الكثير..

وَضع (عباس) الأشياء على الطاولة الخاصة بي، وبدأ يضع الأسلاك ويصلهم ببعضهم، كان يفعل أشياء كثيرة ويقول لي كيفية تركيب تلك الأشياء، وما أسماءها، كان هناك شيء إسمه لوحة المفاتيح، وهذا ما أستطيع الكتابة عليه..

أيضًا هناك النمس.. بالنمس هذا أستطيع تحـ.. . عفوًا.. أسمه الفأرة.

ظهرت علامات وإشارات على شاشة العرض، فإذا بي أفرح كالطفل الصغير، أخذ يعلمنى (عباس) بضعة أشياء، وقال لي ان هُناك شيء يُدعى (فلاشة)، حجمه كحجم إصبع الخنصر، بداخلها يوجد ملفات وأفلام..

أخرج واحدة من جيبه ووضعها بداخل الفتحة الخاصة بالفلاشات، دَخل على ملف ما، وجدت بداخله ملفات أخرى، فتح إحداهما، فكان مَنظرًا مُريبًا، أشعل غريزة الإمتعاض بداخلى..

كان لفتاة عارية تمامًا، ورجل عاري، فلم أحتاج لذكاء خارق لكى أعرف أن هذا هو الفيلم الإباحى، أخبرته بأن يغلقه، فوجدت إمارات الإستمتاع تعلوه، فإحتدم الغضب بوجهى، ثم قُمت من مكانى صارخاً:

- أغلق ذلك الشيء اللعين..

نَظر لي، فإمتقع وجهه، صار باهتًا لا يوجد به ألوانٍ، فى تلك اللحظة عَلمت أن من يجلس أمامى ليس ببشري طبيعى، إنه يُكمن غضبٍ لا يستطيع إنسان إكمانه، أخذ صدري يعلو ويهبط كطائرة تصعد إلى السحاب، وتهبط إلى الأرض بسرعتها القصوى، تَحولت ملامح وجهه، ثم وجدته يبتسم لي فى تحول مُفاجئ، يخبرنى أن لا عليّ، أغلق المقطع، وأغلق الجهاز، نهض من مكانه ومَضى سائرًا نحو الباب، لم يتحدث ولم ينطق ببنت شفة، فصحت:

- إلى أين تذهب؟!

لم يَنظر، بل أكمل طريقه، فَتح الباب، نَظر إليّ من خلف الباب فى طريقة سينمائية:

- أنا لن أذهب، أنا معك دومًا.

فى تلك الأثناء، رأيت (عباس) يُغلق الباب خَلفه، سمعت صوت أقدامه تُدوى فى الأرض، فنظرت إلى الأرض مُتذكرًا ما حدث فى تلك الأيام الماضية، عندما أستعنت بكامل قواى البصرية، مالبثت أن رأيت ورقة بيضاء على الأرض، تحت المقعد الذى أجلس عليه.

تقدمت بخطوات مُرتبكة، إلتقطت الورقة من الأرض لكى أعلم ما فيها، فتحتها بعدما كانت مطوية، ورأيت كلمات قد سُطرت، أُثيرت بداخلى الرعب والفزع فى نفس اللحظة.

كُتبت بقلم أسود، وما أرعبنى أضعاف، هو أنى رأيت ذلك القلم بجوار الورقة، حاولت أن أجمع شتات نفسى، وبدأت أنطق الحروف بسبب تعلمى الضعيف.

فعرفت ما المكتوب، وليتنى ما عَرفته:

- أنا لن أذهب، أنا معك دومًا.

* * * * *

# الفصل الثاني

خَرج (سعيد) من الملهى الليلى، بعدما أفرغ ما بداخله من حُزن وغضب مع إحدى الفتيات الماجنات، مُحتسى الخَمر، مُذهب العَقل، كُل ما بداخله الأن النسيان، لا يُريد أن يتذكر.

خَطأ فادح فعله (سعيد) جعل حياته كابوسًا أسودًا، حياة ستذهب إلى جوف البحر مُمتلئة بالدماء والخطايا، لقد أَعرض عن قرار أصدره رئيسه فى العمل، فطرده منه، بعدما كان (سعيد) مُبتهجًا لحياته، يرى زوجته فى أتم السعادة وهو يأتى لها براتب عمله، ومكافأةً على تلك الأفراح التى لن تكتمل.. تم طرد (سعيد) صاحب الإثني وخمسين عامًا من عمله.

لقد أصبح عجوزًا، بعدما كان شابًا رياضيًا، يلعب الكُرة الطائرة، وفى الوقت ذاته كان يعمل عند أحد الأشخاص، يأمره بقتل أشخاص فيقتل، يأمره بسرقة أشخاص فيسرق.

كانت حياة (سعيد) مليئة بالنعم والأموال، لكن أيضًا كان هُناك بها الكثير من المتاعب والمشقة، بالرغم من أن (سعيد) وزوجته مُحبان لبعضهما، إلا أن الله

له حكمة فى أن يجعلهما بلا أطفال، كانت زوجته شخصية صالحة، لم تعرف قط ما يفعله زوجها فى الخفاء.

إستقل (سعيد) سيارته مُتجها نَحو بيته الصغير فى إحدى البنايات، مُفكرًا فما الذى سيحدث له، يود أن يفر من هذا الكون بأسره،

لكن كيف؟ ومتى؟! نَظر (سعيد) فى مرآة السيارة على عينه التى تهافت عليها التعب والإرهاق، حتى وَصل إلى بيته.

كان الهدوء يَعج المكان، نزل من سيارته بقلق فادح، وصعد على الدرج نحو شقته، وجد الباب كما تركه موصدًا فشعر بالإطمئنان يتدفق نَحو قلبه العجوز، أخرج المفتاح من جيبه وفتح الباب..

دَخل الشقة فوجدها مُظلمة، عدا ذلك النور الصغير الذى يؤدى إلى الرواق الخاص بالحمام، أخذ يُنادى بصوت عال على زوجته، لم يسمع ردًا، بدأ يتسائل، بالتأكيد هي نائمة الأن، فالوقت أصبح مُتأخرًا، لكنه شعر بالخوف يُصارعه، عندما وجد ظل أشخاص يخرجون من الرواق.

إبتلع ريقه، ثم إختبأ مُسرعًا فى إحدى الغرف، أوصد الباب مُسرعًا وأخرج مُسدسه من خزانة الثياب، جَهز المُسدس لإطلاق رصاصه، فإذا به يسمع صوت أشخاصًا بالخارج، أغمض عينيه فى إستسلام تام.

فيجد الباب ينفتح بقسوة، ويقع إحدى المُندفعين نحو الباب على الأرض، وبسرعة غير محسوبة، يُطلق (سعيد) الرصاص فى شتى الأماكن، فيموت إثنين من الخمس أشخاص الواقفين أمامه، ثم يرفع واحدًا من الثلاثة الباقين مُسدسه، فتأتى برُكبة (سعيد).

يَصرخ (سعيد) من شدة الألم، حتى إنه شعر بأحباله الصوتيه قد تقطعت، نَظر أمامه فى محاولة لإستنتاج من هؤلاء الأشخاص، لم يستطع الوصول إلى إجابة،

فصرخ قائلاً:
- من أنتم؟!!!
فسرعان ما آته الرد بعدما أقترب منه أحد الأشخاص، مُرتديًا حُلة سوداء، فيضرب (سعيد) بمسدسه على رأسه، ويغشى عليه فورًا.

* * * * *

- معذرةً.. لم أعرف أنك قادم بتلك السرعة.
سَمع (سعيد) تلك الجملة، وهو يَرى شخصًا ما واقفًا أمامه، مُبتسم، يَرتدى حُلة سوداء، مُصفف شعره على الجانب الأيمن، وجهه خال من اللحية والشارب، وكأنه فتى فى الخامسة عشر من عمره.
بدأت الرؤية تتضح بعدما كانت باهتة، ما يراه فقط ويشعر به هى تلك الدماء التى تنزل من جميع أنحاء وجهه، كأنها لوحة مرسومة باللون الأحمر القانى فقط، إبتسم ذلك الشخص المقابل لـ(سعيد) بعدما نهض:
- إنى لا أصدق أنك أمامى الأن يا (سعيد)، ألا تعرف.. أنا مُشتاق إليك حَقًا.
كانا فى قبوٍ واسعٍ، الضوء الأبيض يغمر المكان، أيضًا كانت الدماء تُحيط الأرض وما عليها، نَظر (سعيد) إلى الرجل مُحاولاً الإستفهام عن كُل شيء، لكنه لم يستطع الكلام، كان مُكبلاً، موضوع على فمه شريط لاصق، فقال الرجل:
- أعرفك بنفسى.. أنا (يوسف حسين السيد)...
صُدم (سعيد) وبدأت عيناه تتسع إلى أن شعر بأن قرنية عينيه قد قُربت على الخروج من محوريهما، أخذ ينتفض بشدة وينهض ومعه الكُرسى ويجلس، كالطفل الصغير الذى أُخذت منه لعبته، ضحك (يوسف)، فدنا من (سعيد) ووضع يده على كتفيه، ثم أردف:
- لا عليك يا (سعيد)، أعرف أنك نادم أشد الندم على فعلتك، لكنك أنت

الشخص الأخير من لعبتنا والتى يجب أن ننتهى منها.. يجب أن تكون الفرد الأخير.

تَذكر (سعيد) مُسرعًا ما حدث، وبدأ فى ترتيب جميع الأحداث بداخل عقله.

(حسين السيد)..

ذلك الإسم، لقد أمره المدير الخاص به فى العمل أن يُنهى على حياة (حسين السيد) هذا لأسباب غير معلومة، أسباب يعرف الرئيس فقط، جَهز مُعداته، عَرف مداخل القصر الذى يَقطن فيه، وشرع فى إختيار ست أشخاص يعملون معه فى المهمة، إختارهم، ثم بدأ فى التنفيذ.

ذهبوا إلى القصر ودخلوا إلى الغرفة التى ينام فيها (حسين)، أخرجوا السكاكين من جحور أجسادهم، ثم طعنوا الرجل عدة طعنات فى شتى أنحاء جسده دون رحمة، بدأت الدماء تُغرق وجوههم.

توقف الجميع عن الطعن عندما رأوا طفل صغير يرى ما يحدث بالضبط، رأى وجوههم، رآهم وهما يطعنون (حسين)، كان الطفل خائفًا، لم يستطع فعل شيء سوى أنه إرتجف ودموعه تسيل من وجهه كليلة شتاء باهرة.

لم يستطع (سعيد) ومن معه قتل الطفل لأوامر من الرئيس، وتركوه ثم ركضوا نحو السيارة وأنطلقوا بعيدًا نحو الأفق.

إبتسم (يوسف) إلى (سعيد)، وأستطرد:

- تلك الحادثة لا تُنسى يا صديقى، كان ينبغى عليك أن تقتل ذلك الطفل الذى رآك، والذى لم ينسى وجهك حتى تلك اللحظة.

ذَرف (سعيد) دمعة صغيرة، أغمض عيناه فى إستسلام، فقال (يوسف) :

- سأُخيرك بين شيئين..

فَتح (سعيد) عينه، ثم أخذ يحسب الدقائق الباقية من حياته، فأردف (يوسف):

- إما أن أتركك دون طعام وشراب لمدة شهر ثم أخلي سبيلك إن بقيت حيًا، أو أقتلك الأن وننهى حساباتنا..

* * * * *

وَلج (يوسف) إلى خارج القصر، بإبتسامة وراحة نفسية لم يعرف لها مثيل من قبل، ها قد إنتهى ثأره تمامًا، ولن يعد يُخطط أو يُرتب حساباته مُجددًا لكى ينتقم من هؤلاء القتلة.

خاط سيره نحو اللاشيء، يتذكر ما كان عليه من المجد عندما كان طالبًا فى الكُلية، ذكريات مؤلمة، لم تَبد هكذا وقتها، كان أبيه هو الشخص الذى يعول عليه فى الشدائد، كُلما أحتاج شيئًا يذهب لأبيه فيعطيه ما يُمنيه، لكنه لم يَدرى حينها أن أبوه هو أكبر تاجر سلاح فى مصر، الشرطة نفسها تَكّن له إحترامًا مُبالغًا فيه!

ذلك القصر الذى يقطن فيه وَحده دون عضد، القصر الكبير المليء بالغرف الفارغة، الأجهزة الحديثة التى غمرتها الأتربة، لم يعد (يوسف) يُفكر بثأره.. لكنه لم يَعد سعيدًا مثلما كان.

فى تلك الأثناء وجد فتاة صغيرة تَشخص أمامه، تَدعو له بدوام الصحة، وأن يتزوج بالفتاة التى يحبها، نَظر لها فى إستحقار تام، وأردف:

- ألا تناموا يا متسولين؟!

فدفعها بيديه على كتفها، فسقطت الفتاة أرضًا، إشتد حنقه وغضبه، فشعر باللوعة التى تأتيه من حينٍ لآخر.

بَزغ نور الشمس الصافى، هو عاشق للخروج فى وقت الشروق، يشعر بأنه يجد نفسه التى لا يعرفها فى ذلك الوقت، ظل يتذكر ما حَدث منذ زمنٍ بعيد.

لم يعرف (يوسف) معنى الحُب قط، بعدما توارث مهنة تجارة السلاح عن أبيه، ألقى قلبه بعيدًا ووضع بدلاً منه حجرة، كان يظن ذلك، إلا أن أتت فتاة تعمل

عنده فى الشركة، نعم.. الشركة التى أنشأها والده، كى تكون ستارًا وغطاءًا لِمَ يفعلونه، لا أحد يستطع أن يلحق (يوسف) فى القبض عليه، فالضباط الشرفاء يحاولون الإيقاع به. . لكن دائمًا يسبقهم بخطوة.

كانت تلك الفتاة تحبه بحق، هو لا يعرف، يشعر وللمرة الأولى بقلبه ينبض بحب، بعشق، دائمًا يظن نفسه كاذبًا على نفسه، لا يُصدق أنه يستطيع الحب كـسائر البشر.

أكثر شخص أحبه (يوسف) كان والده، رغم أنه قُتل وهو صغيرًا، لكن قتله سبب العديد من العوائق النفسية لـ(يوسف)، وسبب فى تغير جذرى لحياته بأكملها.

كان يُلقب بالدنجوان فى كُليته، لقد كان حديث الجامعة كُل يوم، يَرتدى حُلة مُختلفة، تصفيفة شعر مُختلفة، حذاء وساعة مختلفين، لا يرتدى ملابسه مرتين. . وبعيدًا عن هذا وذاك، كان يشبه ملوك الجمال – كما كانوا يقولون عنه فى الجامعة – .

لم يُربى (يوسف) بالشكل الصحيح، فلقد أصبح وحده تماماً بعدما صعدت روح أمه إلى أعلى طبقات السماء، لم يُفكر لحظة بأن يتزوج، هو مُتمرد، لا يُريد أن يَربطه أحد بفكرة، وبشخص ما طوال حياته.

أزمع (يوسف) الرجوع إلى قصره الكبير، كي يستطيع الذهاب إلى العمل.

* * * * *

دجا النهار، فإذا بـ(يوسف) يمتطى أولى خطواته نحو شركته، الإبتسامة الناقية المُنبعة من القلب، تجعل جميع الأشخاص الشاخصين أمامه يبتسمون بالرغم عنهم، إلا تلك الفتاة التى تجلس على المكتب الخاص بها.. المساعدة الأولى لـ(يوسف).. أسمها (رشا).

أخذ (يوسف) يتصفح وجوه العاملين بالشركة الجالسين على مكاتبهم الفخمة،

فما لبث أن وجد فتاة تتمايل أمامه، تحتك به بطريقة مُبالغ فيها، وتقول له بلوعٍ:

- إشتقنا إليك يا مستر (يوسف) .

إبتسم إليها مُجاملاً، وسار فى طريقه إلى المكتب فوجدها أمامه مرة أخرى تعرض عليه بعض الأوراق، لكن فى تلك المرة تقترب منه بشدة، إشتد حُنق (يوسف)، فصاح فيها وسط الجمع:

- إذهبى بعيدًا..

إرتابت الفتاة، ففرت كفرار الفريسة من صائدها، عادت إلى مكتبها مُراسلة ناظريها إلى الأرض، فآوى (يوسف) إلى مكتبه، شعر بالضيق والقلق بعدما كان سعيدًا.

كان مكتبه فخمًا بحق، شاشة كبيرة معلقة على الحائط، أبوابه زجاجية، تكيف، ثلاجة بها جميع أنواع الشراب، ذلك المكتب به كُل شيء حديث.

شعر (يوسف) ببرد الراحة يهرول إلى قلبه، عندما رأى (رشا) تطلب منه بهدوء أن تدخل المكتب، أطلق كلمة - تفضل- ، وكأنه لا يعرف من الطارق، فإذا بـ(رشا) تَدخل المكتب، على وجهها إبتسامة كبيرة، عيناها تشعان طيبة وحُب، شعرها الأسود المسترسل المُكأب على كتفيها، الوجه القمرى والعينان الخضراوان، كُل تفصيلة بـ(رشا) كان يعشقها (يوسف)، يُهيم بها عشقًا.

إنطلق ملكوت تَفكير (يوسف) يتحسس جميع ذكرياته معها، لم يستطع النطاق ببنت شفة سوى أن قال لها:

- إجلسى..

ظهرت أسنانها المُشعة بالبياض، فأبتسم لها مباغتًا، ثم نظرت حولها بعدما جلست، وضعت يدها على يده الموضوعة على المكتب، فأردفت:

- إشتقت إليك...

شعر بنبضات قلبه تَزيد كُلما إقتربت منه، لمست جُزء منه، فزادت إبتسامته وِسعًا، وقال لها:

- إشتياق لك لا يعادل نصف إشتياقك لي.

نهضت من مكانها، وقفت خلفه، فنهض هو الأخر من المقعد الخاص به، وَضع يده على شعرها وأخذ يتحسس بأنامله، فسلست بين يديه وأغمضت عيناها فى سلام وإستسلام تام.

إحتضنها بشدة، كأنه يحتاج لذلك العناق، يحتاج لأن يشعر بالدفء، وهذا العناق يوفر له هذه الأمنية.

كان يعلم، بل يوقن، أن (رشا) هى الشيء النظيف فى حياته، الشيء الذى لم يمسسه سوء، فإنها لا تعرف من هو (يوسف)، لا تعرف أنه تاجر سلاح، لا تعرف أنه قتل سبعة أشخاص بيديه بل ربما يزيد.

لكنه يعرف أنها كُل شيء فى حياته.. التى إستطاعت وبجدارة تحويل تلك الصخرة والحجرة إلى قلب له مشاعر، خَرج (يوسف) من العناق، قَبلّ رأسها وأخبرها:

- أُحبك.

صمتت تمامًا، لم تستطع الرد هى الأخرى، فسرعان ما فتحت عيناها، وقالت له فى سخرية:

- يبدو أننى نسيت السبب الذى أتيت من أجله

ضَحك (يوسف)، ثم جلست (رشا) على المقعد وجلس هو أمامها..

بعد عشرون ثانية من الصمت المُطلق والنظرات الرومانسية، سمعت (رشا) صوت هاتف العمل يرن من الخارج، فأستأذنت (يوسف) وخرجت مُسرعة لكى تُجيب على الهاتف.

ظَل (يوسف) جالسًا على المقعد، رَجع برأسه إلى الوراء، أغمض عينيه هُنيهة، شعر بأنه يُريد أن يبعد عن نفسه، عن عالمه، ويذهب هو و حبيبته إلى مكانٍ معزول لا يعرفه أحد.. يجلس هو وهى فقط هُناك.

إتت (رشا) نحوه مُجددًا وقالت له فى عجلة:

- هُناك شخص ما يُريدك على الهاتف.

عَقد (يوسف) حاجبيه، فسألها:

- من هذا؟!

رفعت كتفيها ولوّت شفتيها كالأطفال، فإبتسم بحُب، ورد على الهاتف:

- ألو!

إنتظر قليلاً دون رد، إلى أن جاءه الصوت كفحيح ثعبان:

- هل معي (يوسف حسين)؟!

بلّل (يوسف) شفتيه فى حركة إعتيادية، وأجاب:

- نعم.. من معى؟!

- أنا شخص ما، يُريد أن يتعرف عليك بصورة أوضح، أنا تلميذ نجيب لوالدك – رحمه الله - ، لكنى أودك أن تعرف من أنا، وسأعرض عليك عرض لن تستطيع رفضه.

لم يفهم (يوسف)، فقال له:

- أكثر شيء أمقته فى حياتى تلك، هى الألغاز أثناء الحديث.

- وأنا لم أنطق ألغازًا، أنا أودك أن تأتى إليّ فى مكتبى، فأنا رجل عجوز لا يستطع القدوم إليك فى مكتبك بمدينة نصر.

شعر (يوسف) بالقلق، فأدعى الثقة وهو يقول:

- كيف عرفت عنوان مكتبى؟!

صمت الرجل قليلاً، فتكلم:
- عنوان مكتبى، الهرم شارع ترسا عمارة رقم ٧ شقة رقم ٢
لم يَنطق (يوسف)، لم يستطيع، فإذا بالرجل يستطرد:
- إسمى (عباس)، سأنتظرك الليلة فى تمام السابعة مساءًا.

* * * * *

لم يَكن (يوسف) يعرف أن هذا الشخص سيُثير فضوله لتلك الدرجة..
تَرك مكتبه، وفى تمام الساعة السابعة إلا عشر دقائق، كان يَرى الكثير من البشر مُتفرقين بداخل الشارع، التكاتك التى لم يراها أبدًا فى حياته رغم شبابه، بدأ يَرى الوجه الأخر من مصر الذى إعتاد دومًا أن يَغشى عينيه عنه.
وَقف (يوسف) ومعه سيارته فى إحدى الأماكن الفارغة، وجد شخص يُحركه ويعطيه تعليمات كى يُركن سيارته بالشكل الصحيح، خرج من السيارة فأعطى (يوسف) للرجل عشرون جنيهًا.
قَبل الرجل الأموال ووضعها على رأسه، كرر الحركة ثلاثة مرات، وكأن (يوسف) أتى من كوكب آخر!، سأله على رقم البناية فأشار له الرجل عليها، ووضح له كيف يسلك الطريق إلى هُناك.
سار (يوسف) كيفما أشار له الرجل، مَضى كثيرًا، إلى أن وَقف أمام البناية.
صعد على الدرج حتى وَصل إلى الشقة رقم (٢)، نَظر إلى ساعته وجدها السابعة بالضبط، فإنه يُحب دومًا أن لا يتأخر عن أى موعد.
دق الباب فى هدوء، ثم بسرعة إنفتح، أراب مَنظر الرجل (يوسف)، فشعر بالإمتعاض من وجهه، بالرغم من تصفيفة شعره، وبالرغم من ملابسه الأنيقة وحذاءه الذى يكاد أن يُضيء من كثرة لمعانه، إلا أن وجهه المُرعب ونظاراته المُتملقة، رقعة العين تلك الموضوعة على عينه اليسرى، إرتاب (يوسف) بسبب

شاكلة الرجل.
فأرسل (عباس) ناظره إليه، إبتسم له فى هدوء، وأخبره:
- فى الميعاد.. تَفضل يا أبن الحاج (حسين).
دَخل (يوسف) بخطوات قلقة إلى الشقة، أو المكتب، لكنه كان فخمًا، بالرغم من عدم وجود أشياء حديثة، إلا أن ترتيب المكتب والديكور جعلها تبدو كالقصور.
جَلس (يوسف) على المقعد المُريح، فأتى (عباس) فى قبالته وسأله:
- ماذا تُريد أن تشرب؟!، عندى كُل شيء تحبه.
جَهز لسانه للنطق، وأطلق:
- كوكاكولا لو سمحت.
إبتسم (عباس)، ذهب نَحو المطبخ، ونهض (يوسف) من مكانه، أخذ يتجول فى المكتب، أو الشقة بالأدق، يرى تلك اللوحات الموضوعة على الحائط فى ترتيب شديد الدقة، تلك الصورة لـ(عباس)، وهو شاب، وبجواره صورة سيدة وبنت صغيرة، كانت البنت شديدة الجمال، عيناها زرقاوين، شقراء الشعر، إبتسم (يوسف) عندما رأى الفتاة، لأنها جميلة فعلاً.
أتى (عباس) من خلفه، وضع الصينية وما فيها من كوبين من الكوكاكولا على الطاولة، وأخبره فى هدوء:
- إنها إبنة أخى..
سرح (يوسف) فى تفاصيل الصورة، نسيّ نفسه ومن حوله، وأتى صوت (عباس):
- ماتت فى حادثة، هى وأخى وزوجته.
حَزن (يوسف) من قلبه فور سماعه تلك الجملة، فأدار وجهه إلى (عباس) وقال له بأسف:
- أنا أسف.. رحمهم الله.

إبتسم (عباس) بحُزن، وأتجهوا نَحو الأريكة والطاولة، جَلس على المقعد وأمامه جلس (يوسف)، أمسك (عباس) الكوب وأخذ يتجرع منه، ثم قبض الأخر كوبه في يديه وأخذ يشرب، إلا أن إنقطع ذلك الصمت بقول (عباس):

- إنى أعرفك جيدًا..

غَلفّ (يوسف) خوفه وقلقه من ذلك الرجل، بغلافٍ فيه الكثير من اللامبالاة، وألقى كلماته بغرور:

- لا يوجد بشرى يعرف من أنا يا (عباس) باشا، أنا أجعل من أمامى يعرف ما أود أن أعرفه إياه.

إبتسم (عباس) ونَظر أرضًا، شعر (يوسف) بانه تغلب عليه، لكن كلمات (عباس) أتت على الآخر كصواعق راعدة:

- أسمك (يوسف حسين السيد)، عُمرك (خمسة وثلاثون عامًا)، أعرف أن والدك كان تاجر أسلحة، تقريبًا كان أشهر تاجر سلاح فى مصر والعالم العربى، عندك قصر كبير جدًا فى مدينة نصر، عصبى، تعشق الكوكاكولا، تُحب الخروج ليلاً وخصيصًا فى وقت الشروق، تفعل هذا أسبوعيًا، فى الأمس قتلت آخر شخص من أصل سبعة أشخاص قتلوا أبوك بالطعن، وأنت رأيتهم السبعة، لذلك قررت أن تنتقم لأبيك قبل أن يتم عشرون عاماً على وفاته، وسنوية أبيك ستأتى بعد ثلاثة أيام من الأن، لذلك كُنت تود أن تنهى ثأرك قبل ذلك، كى تجعل أبيك فرحًا فى قبره، تَقع فى غرام فتاة أسمها (رشا صديق)، تعمل عندك بشركة الإستيراد والتصدير، التى هى عبارة عن ستار تختبأ تحته أعمالك العنيفة واللا أدمية، أعرف أنك تكره عملك وتكره الدماء، لكن تركة أبوك لك كانت تُحتم عليك فعل ذلك، وأكثر شيء أعلمه الأن، أنك تحاول أن تُخبئ إنبهارك بمعرفتى تلك المعلومات، أعلم أنك ستحاول أن تظهر لامُباليًا، لكنك لن تستطيع.

صمت (عباس) فجأة، كأنه يود أن يسمع من (يوسف) شيئًا، لكنه وضع كوب الكوكاكولا بين شفتيه، أخذ يرتشف منه وهو مُغمض العينين، نَظر (يوسف) وعيناه جاحظتان له، يبست أطرافه، جَمد قلبه، هُناك أشياء لا يعرفها أحدًا على وجه الكُرة الأرضية، كيف وَصل إليها؟!!، كيف عرف بموضوع حُبه لـ(رشا)؟!!

كُلها أسئلة خاطرت ذهنه، لكن لم يستطع الجواب على أى منهم، إزدرد ريقًا، شعر وأن لسانه قد شُل تمامًا عن الحركة، فسمع صوت (عباس) يأتيه ليقضى عليه تمامًا:

- هل لازلت لا أعرف شيئًا؟!

توهجت إمارات الرعب منه، شعر وأنه جالس مع شيطان، يعرف عنه كُل شيء منذ نعومة أظفاره، - كَيف عَرف كُل تلك الأسرار؟!- ، فسأله (يوسف) بإرتياب:

- أأنت ساحر؟!

فأنفجر (عباس) ضاحكًا، أثناء ضحكه رأى (يوسف) شيئًا غريبًا فى الشقة، ظل شخص ما يَتحرك بداخل إحدى الغرف وظهر إنعكاس الظل على الجدار أمامه..

توقف (عباس) عن ضحكه، ثم سأله:

- ثمة خطأ هنا؟!

إزداد حَنقه، وَله من (عباس) فأستدار عنه وقال له:

- أنا أود الرحيل.

إرتسمت ملامح الجدية على (عباس)، فنطق:

- ما الذى حَدث يا (يوسف) بيه؟! ، أنت حَتى لم تعرف لما جعلتك تقطع كُل تلك المسافة وتأتى إلى هنا؟!

أحس بأن كلامه صحيح، نَظر لـ(عباس) الشاخص أمامه، فإستقبله بإبتسامة كبيرة على شفتيه، جَلس (يوسف) مُجددًا، وفى قبالته جلس الأخر، فتكلم (عباس):

- أتود معرفة كَيف فُقأت عينى تلك؟!
ثم أشار إلى عينه اليسرى، لم يَكن (يوسف) داريًا بأى شيء حوله، بل كان هائمًا، ملتاعًا، حائرًا، أومأ برأسه، فتكلم (عباس) بسرعة شديدة كممثل حفظ دوره:
- بعد أن تَركت العمل مع أبيك (حسين) – رحمه الله - ، لم أتركه لمشاكل بيننا، لا لاسمح الله، بل كُنت أود فقط أن أستقل بذاتى فى العمل، أُريد أن أكون وحدى، وهذا ما حدث، فى أول عملية لتبادل الأسلحة، كُنا واقفين فى الصحراء، أنا ورجالى، والشخص الذى سأشترى منه الأسلحة، ورجاله، كُنت مبتسمًا، مُستبشر الخير، تقدمت نحو الرجل ومعى حقيبة الأموال، على وجهى إبتسامة، أخذ منى الحقيبة وفتحها، تعجبت لأن هذا الرجل لم يثق بى، فوجدته يُشير إلى رجاله ويعطونى حقيبة الأسلحة، فتحت الحقيبة، فدنا منى وقال:- ألا تثق بى؟!- ، فأجبته بوضوح:- بالطبع، فأنت لم تثق بى أولاً- ، شعرت بالإمتعاض يأكل وجهه، أخرج سكين من جيبه، وفقأ لى عينى اليُمنى بإحترافية شديدة، فإذا بالرصاص ينهمر من كُل حدبٍ وصوب.
تَلهف (يوسف) للقصة وشعر بالتشويق، لكن فى نفس اللحظة هُناك أشياء لم تقنعه!، لا يوجد سبب أصلاً لفقأ عينه فِلمَ فعلها الرجل؟!، إستطرد (عباس):
- إنقلبت لساحة معركة، فأبتعدت عنهم جميعًا وإختبأت خلف حجارة كبيرة فى الصحراء، واضعًا يدي على عينى التى تُمطر دمًا، فرأيت الجميع قتلى، حتى ذلك الرجل الذى فقأ عينى..
أمسك (عباس) الكوب وتجرع منه، وقال لـ(يوسف) بلا مبالاة:
- عَرضى لك لكى لا آخذ الكثير من وقتك، سأساعدك فى الشركة، وسأكون عونًا لك فى أى مسألة تُريدها، مقابل مبلغ مالى صغير، ستختاره أنت.
إبتسم (يوسف) بغرور، وقال فى تحد:

- ولِمَ أجعلك تعمل عندى؟!، هل عملك مع أبى سيجعلنى أثق بك ثقة عمياء؟!

نَهض (يوسف) من مكانه فى قرارٍ للرحيل، فقام (عباس) من مكانه أيضًا، إبتسم له وأخبره:

- لا تتعجل فى قرارك، فى أى وقت حَدثنى وسأكون معك.

وَله (يوسف) إلى الباب فى عجلة، فقال (عباس):

- أنا معك دومًا يا صديقى الصغير.

خَرج من الشقة تمامًا، فسمع دويّ إغلاق الباب، نَزل على الدرج وهو يَحمد الله لخروجه سالمًا، وَضع يده على صدره، أخذ نفسًا عميقًا بمجرد خروجه من العماره، إتجه نَحو سيارته فى تريث.. وفغر فاهه عندما رآها.

كُتب على زجاجها بـ..

بالدماء..

جُملة لن يستطيع نسيانها أبدًا.. وستظل عالقة فى ذهنه أينما توكل:

- أنا معك دومًا يا صديقى الصغير-

* * * * *

# الفصل الثالث

"أنا لن أذهب، أنا معك دومًا"

عاودت النظر إلى تلك الورقة، أُكذب عيناى، كيف كُتبت هذه الورقة؟! لقد كان معى!، إنه لم يفارقنى سوى منذ بضع ثوان!، توارى القلق وأتى الخوف والفزع، دَقت طبول قلبى، تشعبت الدماء بداخل جسدى بحرقة، فخرجت من الباب مُسرعًا كى ألحقه، نَزلت على الدرج مُهرولاً، وقفت فى منتصف الشارع، أنظر يُمنى ويسرى، لا يوجد شيء.

إنبعث غاز الفزع، إننى أستطيع شَمّه هُنا، أين ذهب ذلك اللعين؟!

لم أستطع فعل الكثير، ظللت واقفًا، مُحدقًا فى الأرض، عيناى متسعتان، كيف كتبها؟! ومتى؟!، لقد سُلب منى تفكيرى، إنتحرت شجاعتى، لا أدرى ما كينونة ذلك الشخص.

عمى (شاكر)! .. هو الحَل الأن! ..

رَكضت نحو بيت العمر، كان بجوار بيتنا، كان بداخل الحارة، تَركت لقدماى العنان لتَكسر الهواء، كانت الأطفال ترانى وأنا أركض، شخص فى عمر الثلاثون

يركض كالطفل الصغير، لا يهم الأن، المهم فقط هو أن أعرف من هذا الشخص المُدعى (عباس).

وَصلت أمام بيت العم، رأيت النور يَسطع من شباك الشقة، صعدت على الدرج بهدوء كى لا أثير ريبة عمي، طرقت الباب بيدى عدة طرقات، فوجدت إبنة عمى (نور) تفتح لى الباب.

كانت تصغرنى بعدة سنوات، غير متزوجة، كُنت أحبها، ليس وقت الحديث الأن عن (نور) وما شابه.

سألت (نور):

-هل عَمى هُنا؟!

نَظرت لي فى تعجب واضح:

-نعم هُنا!

دَخلت الباب دون أن ألقى عليها السلام كالعادة، أود الإعتذار، لكن ليس هذا بالوقت المناسب، دَخلت إلى العم، وَجدته جالسًا يحتسى الشاى، مُرتديًا جلباب فضفاض، إبتسم لي:

-يا أهلاً يا أهلاً بصاحب الثلاثون العازب.

إدعيت الإبتسام، صافحنى بحرارة وأحتضننى، صدقنى يا عم، فهذا ليس بالوقت المناسب إطلاقًا:

-إجلس يا بُنى بارك الله فيك.

جَلست مُسرعًا، فقال:

-يا أم (نور).. هاتى لنا شـ..

قاطعته والصداع يَصم رأسى:

-لا داع يا عم، فأنا سأسألك سؤال وسأذهب.

إبتسم العم فى رضا، كُنت أشعر بهواء ساخن يجتاح رئتاى، لا يوافق على الخروج منهما، فقلت بنفس مُتهدج:

-هل تعرف عنوان (عباس)؟

عَقد العم حاجبيه، وبدأ الريب يَدخل أعماق من أوسع أبوابه، لم يَرد عليّ، فسألته مُجددًا، فقال:

-(عباس) من؟!

بغتة، إنقطعت الأصوات حول المكان، حتى أصوات السيارات إنخرست، وكأن الوجود قد إنتهى، لم أسمع فقط غير صوت دقات قلبى التنافسية والغير متناهية، فسألته مرة أخرى محاولاً إيجاد إجابة تُريحنى وتُرخى عقلي:

-الشخص الذى جعلته يعملنى القيادة..

شعرت بلفح من الهواء يأتى، كانت (نور) واقفة خلفنا، مُرتدية حجاب إسود اللون، تكلم عمى بهدوء وثقة:

-لا أعرف شخص أسمه (عباس) يا بُنى، الشخص الذى كان سيأتى ليعلمك القيادة إعتذر عن القدوم، إبنه كان فى المشفى..

بدأت فى تذكر الأحداث سريعًا، إذًا.. لو كان (عباس) غير حقيقيًا، من عَلمنى القيادة؟!

لو كان (عباس) غير موجودًا، إذًا من إشترى لى الكمبيوتر الموجود عندى؟!

لو كان (عباس) لا يمت للواقع بصلة، إذًا من خَط تلك الورقة؟!

أذكر أنى آخر شيء رأيته، كان وَجه (نور) إبنة عَمى وهى تَجرى نحوى، تضربنى برفق على وجهى كى أعاود تركيزى ونشاطى، لكنى رأيت الظلام يُحاصرنى، فأستسلمت له إستسلامًا كُليًا.. وأنتظرت الإفاقة الجديدة.

* * * * * * *

"أنا معك دومًا يا صديقى الصغير"
نَظر لتلك الجملة عدة مرات، غير مُصدقًا، الدماء لازلت تنزل منها، فأضمره الرعب، وقرر العودة مُجددًا لبيت ذلك الرجل (عباس)..
ليت ما ذهب لهذا الرجل، كيف يتخلى عن مكانته الشهيرة ويذهب لرجل لمجرد مكالمة هاتفية رخيصة، إنه الفضول اللعين، لم يستطع تمالك نفسه بسبب الفضول.
صار مُسرعًا نحو شقة الرجل، وأثناء وقوفه أمام البناية، وجد حارسًا، كهلاً، يرتدى جلباب كحلى ونظارة طبية، لم يعطى للحارس إهتمامًا، فتحدث الحارس:
-إلى أين أنت ذاهب؟!
وَقف (يوسف) فجأة، ثم قال للرجل:
-إلى السيد (عباس)..
هدأت ثورة الرجل، فتكلم:
-اااااه، الحاج (عباس مصيلحى)؟!
لم يكن يعرف (يوسف) إسمه كاملاً، ثم ظهرت بارقة أمل، فأومأ بإبتسامة قلقة:
-نعم.. هو.
نَهض الحارس، فأستطرد:
-الطابق السابع الشقة رقم ١٥
تعجب (يوسف)، لقد كان (عباس) قاطنًا فى الطابق الأول الشقة رقم ٢!، فقال للرجل:
-يبدو أن هُناك خطأ، السيد (عباس) يقطن فى الدور الأول وليس السابع! وفى الشقة رقم ٢ وليس ١٧ !
إرتطم القلق على وجه الرجل، فإذا به يقول لـ(يوسف):

-الشقة رقم ٢ لم يسكنها أحد منذ ستة أشهر كاملة، وهى الأن معروضة للإيجار، إذا كُنت تريد الإطلاع عليها الأن فبمقدورى هذا، أما بالنسبة لـ(عباس) هذا، فلا يوجد أحد فى البُناية كُلها أسمه (عباس)، بإستثناء المحامى (عباس مصيلحى).

كان يَرى (يوسف) الدُنيا تتراقص من حوله، أصبح واجمًا، لا يَدرى شيئًا مما حوله، فقال للحارس فى عَجلة من أمره:

-أُريد أن أرى الشقة..

أومأ الحارس العجوز رأسه فى رضا، صعد على الدرج وخلفه (يوسف) مُباشرةً، كان العجوز يصعد ببطء شديد عكس ما أراد (يوسف)، كان مُتلهفًا للحقيقة، مُتعطشًا للمعرفة.

وَصلا أمام الشقة، فإذا بالحارس يضع يده بجيبه ليخرج المفتاح، أخرجه، ثم فتح الباب.

كانت الشقة مُعتمة تمامًا، فارغة من أى شيء، كُل اللوح التى رأها (يوسف) لم تعد موجودة، هذا هو الإختلاف الوحيد فى الشقة، لم يعد هُناك شيء فى الشقة مما رآه (يوسف).

حتى وضعية الأريكة إختلفت، الطاولة، جميع الأشياء إختلفت وضعيتها.. وكأن (يوسف) لم يزر تلك الشقة قط!

إبتسم العجوز لـ(يوسف) وهو يُردف:

-هل أعجبتك الشقة؟!

* * * * *

## "بعد مرور إثنى عشر شهرًا"

لقد كانت أمنية أبى أن أتزوج، أمنية أمى، أمنية عَمى.. كانت أمنياتهم جميعًا أن أتزوج، أحمل نسلهم، وهذا ما حدث بالفعل.

اليوم ليلة زفافى، على مَن؟!.. على إبنة عمى.. (نور).

مُنذ صغرنا ونحن مُتفاهمان، نعرف أسرار بعضنا، لكنها لم تكن قريبة بالقدر الكافى، لم أعرف أن تلك الفتاة هى من تمتلك قلبى، إلا منذ بضعة أشهر فقط، لم أعرف إنها ستكون زوجتى، سوى من أسبوع مضى!

رأيتها على الكوشة، مُبتسمة، واثقة، وجهها يشع نورًا، لم أعهد مثل تلك السعادة قِبلاً، استسرت (نور)، واستسرت العائلة - معظمهم لا أعرفهم - .

لكن ما سلب سعادتى بقدرٍ، هو وفاة العم (شاكر) كُنت أتمنى أن يكون بيننا الأن، لكنه كما وصانى أن أحافظ على إبنته وزوجته وأضعهما بدلاً من قرة أعينى، وهذا ما يحدث والحمد لله.

رأيت أصدقاءى بالعمل فى الموقف يأتون، يجلسون وعلى وجوههم إبتسامة، وكما طلبت منهم أن يكونوا ساكنين، هادئين، فأنا و(نور) نكره الأغانى المزعجة.

كان فرحًا كئيبًا بالنسبة لهم، لكنهم لا يعلمون ما تخفى الصدور، لا يوجد عائق بيننا وبين السعادة اليوم أبـ.. .

لا.. يوجد.

عندما نَظرت أمامى، في قبضتى يد (نور) المثلجة، وجدت الجميع يهلل وينطق بإسمى، يريدون أن نرقص سويًا، كُنت أعلم أنها تخجل.. ليست تلك المشكلة.

المشكلة، أنى سمعت صوتًا أعرفه وسط الجمع، ووجها أعهده وسط الحشد، ذلك

الشخص الذى جعل العام الفائت أسوء أعوام حياتى، ذلك الشخص صاحب العين المفقأة، ذلك الشخص الذى إقتحم حياتى وهددها بأسوأ كابوس..
ذلك الشخص الذى يُدعى (عباس)..
كان واقفًا وسط الجمع، يهلل مثلهم، بل أكثر منهم قليلاً، على وجهه إبتسامة، وعندما وَجهت ناظرى إليه، إستدار وذهب نحو باب الخروج، واضعًا يديه فى جيبه، وأثناء الخروج، وَقف عند الباب، ليلقى عليّ بنظرة لم أنساها حتى الأن، وأسنانه الصفراء البارزة فى غلٍ وشرٍ واضحين كالشمس.
نَظرت إليّ زوجتى فى توتر، فنظرت لها بعدما رحل ذلك الشيطان، ورَسمت بين شفتاى إبتسامة كاذبة.

* * * * *

كانت الحياة طبيعية، تسير على نهجها، بالرغم من بعض العقبات التى تستقبله بحفاوة بالغة، إلا إن الحياة لا تقف بسبب شخص أو صدمة ما.
اليوم هو آخر يوم لرجل الأعمال (يوسف حسين) بداخل المصحة النفسية، أخيرًا.. بعد مرور إحدى عشر شهرًا وأربعة عشر يومًا على دخوله تلك المصحة كما يُطلق عليها (يوسف).
بمجرد دخوله تلك المصحة، كان يشعر بأن حُريته قد سُلبت منه وعُلقت على إحدى الشماعات المطلة للشارع، كان يشعر بأن سعادته قد سُرقت منه وأنطلقت نحو مَهب الريح.
لكن بدأ بالتأقلم، بدأ يستيقظ يوميًا مُبكرًا، يلعب بعض الألعاب الرياضية، ممنوع من التدخين، كانت حياته جحيمًا بداخل المصحة النفسية، لكن الحسنة الوحيدة فى تلك المدة، أنه لم يَرى أي شيء يَخص (عباس) هذا.
كان يتصرف كالمجنون طيلة ذلك الشهر الذى ظل يبحث فيه عن (عباس)،

تصرفاته كانت تؤكد ذلك، يوم ذهب لرؤية (عباس)، أنكرت (رشا) أنه خرج إلى الشارع يومها أصلاً، لقد كان نائمًا طيلة اليوم بداخل مكتبه، وذلك الرقم الذى حَدثه (عباس) منه، لا يوجد أساس من الصحة، بل كُلما إتصل به تأتيه تلك الرسالة المزعجة:"هذا الرقم غير موجودة بالخدمة، من فضلك تأكد من سلامة الرقم المطلوب".

وما يثبت عكس ذلك؟! إن (يوسف) مَريض ويجب أن يعالج، يتوهم (عباس) هذا، لا يوجد وجود له، سوى بعقله المريض، جَلس مع طبيبه النفسى الطبيب (كامل رئيس) ونصحه بالذهاب إلى مصحة، لكنه رفض تمامًا، بل أصر على عدم الذهاب، ويومها سَب الطبيب (كامل) بأفظع الألفاظ.

فى إحدى الأيام إستيقظ (يوسف) صارخًا إثر كابوس رهيب بطله (عباس)، يطّل بطلته البهية وإماراته المشعة بالحُب، لينتفض (يوسف) من سريره، خائفًا مفزوعًا.

أصبح (يوسف) ضارعًا، هائمًا، فلا يجد له بُدًا كُلما تَذكر (عباس)، نظراته، وجهه، رقعة عينه البيضاء، وفى إحدى الأيام التى لا ألوان لها، إستيقظ (يوسف) وجد نفسه فى تلك المصحة، فى تلك الغرفة، يأتيه الطبيب (كامل) ليشرح له كُل شيء.

وإلى تلك اللحظة، لم يتهاون (يوسف) عن نسيان ذلك الشبح الذى أتى من الماضى دون سابق إنذار، فكلما أتى له على هيئة روحٍ تُناجيه أو كابوسٍ يفزعه، لم ينساه، لكن تلك اللحظات أخف وطأة عليه من اللحظات الأولى التى رآه فيها، تلك الدماء التى تسقط من سيارته، محفورة بكلمات لن ينساها على زجاجها.

حَزم (يوسف) أمتعته للخروج من المشفى، أمامه الطبيب (كامل) مُبتسمًا، يُهنيه على الخروج، رغم أنه يَرفض الخروج فى ذلك الوقت، فكلما نظر له يشعر بالحزن يصم جفون قلبه، أنظر لذلك الوجه الذى كان يومًا مُبتسمًا، خاليًا من

اللحيّ والشارب، لقد كان يمقتهم (يوسف) ، ما اللعنة التى حَلت عليه لتجعله يُربى لحيته لتلك الدرجة؟!، وما اللعنة التى جعلته يفقد جسده الرياضى وعيناه البراقتان؟!

تَحدث (كامل) فى تريث:

-حمدلله على سلامتك.

لم يبتسم (يوسف)، بل ظل يُحدق فى الحقيبة المليئة بالملابس، ويقول لـ(كامل):

-هل إنتهيت؟!

شعر (كامل) بالتخبط، فسأله:

-إنتهيت من ماذا؟

لم يَرد (يوسف) عليه، أغلق الحقيبة بالسّحاب، أمسكها بقبضة يده، فنظر إلى وجه (كامل) العجوز صاحب الخمسون، كان وجهًا مليئًا بالتجاعيد، يرتدى نظارة طبية، له شارب وشعر أسمر اللون، هذا لا يدل على شبابه بل يدل على كثرة صباغته لشعره الأبيض، لكن (يوسف) كان يُحبه، بالرغم من كذبه الدائم ومجاملاته الظاهرة، إلا إنه يحبه.

بالرغم من أن (يوسف) كان يكره الجلوس فى ذلك المكان المُظلم، إلا أنه سيشتاق إليه، لقد جلس بداخله لمدة عام كامل، ظل يتأمل جُدرانه المطلية باللون الأحمر القاطن، كلون الدماء، إضاءة برتقالية خافتة، شباك يطل على ساحة المصحة، ثلاجة، تلفاز، حمام، كانت غرفة كئيبة، لكنها حملت الكثير من الذكريات.

حَمل الحقيبة ثم خرج من الغرفة بهدوء، وكأنه قد نسيّ تلك الصفات التى كان مكبأ عليها، كان يظن نفسه مُلتاثًا مجنونًا، ما إن بضعة ثوان حتى أستعاد وعيه

وإستفاق من تلك الطاحونة التى لن تنتهى عن دهسه.
نَزل إلى الشارع، وطأت قدميه الأسفلت، نَظر إلى الشمس التى كان يشتاق إليها كثيرًا، تَنفس لأول مرة بحرية واسعة، نَظر أمامه فى تَحدٍ، فأكمل طريقه داهسًا ما حوله من قاذورات الأرض، وعَلم أنه لن يتوانٍ عن المعرفة.. أبدًا.

* * * * *

أيامٌ مَضت لم أحصها، عَملي كسائق حافلة لم يكن بالأمر الهيّن، لكنه كان رائعًا، مُذهلاً، لم أشعر بالملل قط، زوجتى (نور) هى من شَجعتنى على كُل شيء.. العمل.. نظافة البيت.. العودة إلى البيت مُبكرًا، كانت خير زوجة وخير عَضد.
وَقفت مُهيأ نظرى إلى المقاعد بداخل الحافلة، ثم ناديت بصوت عال:
-تعالى إسكندرية إسكندرية..
فوجدت الكثير من البشر يأتون دُفعة واحدةً، مُتدفقين خلف بعضهم البعض، شبابًا كانوا وفتيات، إستقبلتهم بإبتسامة، فوجدت كبيرهم يأتى ويَتفق معى أننى سأكون معهم طيلة اليوم، أصلهم إلى المكان الذين يريدونه، وأعود بهم إلى هُنا، بالطبع هذا مقابل مبلغ من المال، وسيكون مبلغًا كبيرًا.
جَلسوا جميعهم، وضعت لهم الحقائب فى أماكن متفرقة داخل الحافلة، ثم جلس كبيرهم بجوارى، وأنطلقت أركض بحافلتى نحو الأسكندرية.. مُبسملاً.

* * * * *

نَظر (يوسف) من الخارج إلى شِركته، ذلك البناء الذى يفتقده بشدة، مكتبه، عملاؤه، بيعه للأسلحة وشراؤها، (رشا)..
كان يفتقدها، يشعر وأنه وحده دونها، يشعر وكأن الدُنيا تُظهر أنيابها المليئة بالدماء، دَخل الشركة بعدما حَلق لحيته وشاربه الأشعث، رأى جميع الجالسين

يقفون مهللين له، على وجوههم إبتسامة صادقة، وأول ما خَطر بذهنه وعينيه هى..

فأخذ يجول بنظره هُنا وهُناك، يبحث فى الأوجه، إلى أن وجدها جالسة فى مكتبه، تُدير الحسابات ومسؤوليات الشركة التى ألقاها (يوسف) على عاتقيها دون إنذار، نَظرت أمامها بنوعٍ من التركيز، فإذا بها تجده واقفًا فى مكتبها، يستأذنها بأن يتحدث مع سيدة الأعمال (رشا صديق).

عندما رأته، سكت الوجود إحتراما لنظراتهما، هدأ الأشخاص الموجودين بالشركة، كانوا يعلمون بأنهم يحبون بعضهما، ثم سقطت دمعة من أهداب أعينها، تضحك بفرحٍ لا يُصدق، ثم تذهب نحوه مُهرولة وتأخذه فى أعناقها بشوقٍ.

أغمض عينه فى سلام بين أعناقها، ثم أخذ يُداعب أذنها برأسه، فتمتم بهدوء:

-أحبك.

إنقطعت تلك الأصوات الرومانسية، وتهامس البعض يمتدحوا حُب الإثنين، وكأنهما قيس وليلى النسخة المُحدثة، صوت الهاتف المُزعج يملؤ صداه المكان، لا يَرد أحدًا، وتكتمل تلك الأجواء الرومانسية مُجددًا، لكنها لم تكتمل كثيرًا، فسرعان ما أتى صوت الهاتف مَرة أخرى، فتتقدم المساعدة الخاصة بـ(رشا) لترد على الهاتف.

يَصمت الجميع تمامًا، فى أثناء حديثها، إقتضبت وعَقدت حاجبيها فى إستغراب، فتقول فى ريبة:

-أستاذ (يوسف).. هذه المكالمة لك.

نَظر (يوسف) إلى (رشا) فى رُعب، فقال لها بهدوء وصوت منخفض:

-إذهبى مُسرعًا، إفتحى السماعة الأخرى وأسمعى ما يدور، كى لا تدعين أنى مَريض مرة أخرى.

هرولت (رشا) نحو السماعة الأخرى، عادوا جميعهم إلى أماكنهم ، ذهب (يوسف) ليرد على الهاتف وبداخل عقله تدور أكثر من ثلاثمئة سؤال وكُل واحد فيهم مُختلف عن الأخر.

هل هذا هو (عباس)؟!، هل هذا هو عقله المريض يتوهم ثانيةً؟!، هل هذا هو شخص أخر؟!

لا يعرف الإجابة، لكنه وبعد سبع ثوان، سيعرف الإجابة، قَبض سماعات الهاتف نحوه، وَضعها بجانب أذنه، فإذا به يتحدث وهو يرى (رشا) تمسك السماعة وتضعها على أذنها:

-ميدان طلعت حَرب، أمام التمثال مُباشرة..

سَكت (يوسف) تمامًا وعلت صوت أنفاسه وتشنجات قلبه، إن ذلك الصوت هو صوت (عباس) نفسه!، نعم ذلك الفحيح الذى سمعه فى المرة الأولى، فيُكمل الصوت كلامه بهدوء أكثر برودًا:

-أنتظرك بعد ساعة من الأن يا أبن رقية.

سمع صوت إغلاق السماعة كصوت ديناميت، نَظر إلى (رشا) التى لم يَبد على وجهها أى تغير، بل كان ثابتًا كما هو، فسألها بصوت مُرتاب:

-أسمعتِ؟!

نَظرت له فى غير فهم، فهزت رأسها نافية، فوصل (يوسف) إلى أشد درجات الغضب، لكنه كَظم غيظه وغضبه، وَد أن يُحارب (عباس) دون معرفة أحد، دون أن يدعى أحدهم الجنون عليه، فعرف الموعد القادم.

هُنا.. شعر (يوسف) وللمرة الأولى منذ طفولته، بالخوف.

* * * * *

كان ذلك الرجل مُريبًا، حَقًا.

يَنظر إليّ فينة بعد فينة، يتحسس حقيبته تلك، يضع يده فى جيوبه، لم أطمأن له رغم أنه لم يرتكب شيئًا أحمقًا.

وَصلنا إلى منتصف الطريق بالضبط، لقد حَفظت ذلك الطريق، أعلم أن هُناك مطب صناعى سيأتى بعد بعض مترات من الآن، وأعرف أن هُناك منطقة يقف بها الكثير من الناس ينتظرون سيارة تقودهم إلى مكانٍ ما.

لكن على غير العادة، وَجدت بعض الأشخاص يقفون قبل المنطقة التى أحفظها، أمامهم سيارة الدخان يتصاعد من مقدمتها، يصرخون لجميع السيارات حتى تقف إليهم سيارة، مررت على ذلك المطب الصناعى فهدأت سرعتى، وَجدت إحدى الأشخاص يصرخ من الخلف:

-قف لهم يا اسطا.

فتكلمت بهدوء:

-لا يوجد مكان!

فسمعت صوتًا آخرًا:

-قف وسنفسح لهم مكانًا.

هدأت سرعتى، فأنا على كُل حال لن أخسر شيئًا، وَصلت إليهم ووقفت بجانبهم، رأيت على وجوههم الفرحة فى أسمى معانيها، أخبرنى واحدًا منهم:

-أشكرك يا سيدى فأنت وَحدك من تكرمت وفَتحت لنا الباب.

إبتسمت لهم وخَبرتّهم أن لا عليهم، إستقلوا السيارة وجلسوا بعدما رأيتهم فى المرآة، سمعت أصوات الأخرون يتحدثون معهم كى لا يشعرونهم بالغرابة، غَمرتنى السعادة بغتة، لكنها لم تَدم طويلاً.

لأنى بكُل بساطة رأيت الشخص الجالس بجوارى يَخرج مُسدسًا مصوبه تجاهى، إبتلعت ريقى ثم حَدث كُل شيء بسرعة، سمعت من خلفى يضحكون بشدة، فى

أيديهم مُسدسات أيضًا يصوبونها تجاهى، لم أصدق للحظة وشعرت أن هذا "مقلب يفعلونه بي ثم سيسألوننى لاحقًا:"نذيع؟!

لكنه لم يكن مقلبًا ولن يسألونى لاحقًا "نذيع؟!" أم لأ، بل كان حقيقة، وحقيقة مؤكدة، طلبوا منى التوقف على إحدى جانبى الطريق والخروج من السيارة، وهذا ما حدث فعلاً.

توقفت بسرعة وَخرجت من السيارة رافعًا يدى للأعلى، رأيت من فى السيارة يضحكون وكأنهم استقوا خمرًا، ركعت على الأرض كما طلبوا منى بالضبط، وَضعت يدى خلف رأسى كما أرى فى الأفلام، ثم وفى تلك اللحظة وجدت أحدهم يشير إلى الأخر، فضربنى ذلك الأخر على ركبتى بقدمى فأنطلقت أصرخ من شدة الألم، أغمضت عينى حينها كى لا أرى ما سيحدث عقب ذلك، وفجأة وجدت أحدهم يضربنى بكعب المسدس على رأسى فتبدأ الرؤية تَخفت رويدًا رويدًا..

آخر ما رأيته، هو أن النصف إنتقل إلى سيارتى وبدأوا بالتحرك، والنصف الأخر أتت سيارة سوداء أخرى وجلسوا بها..

وذهبت إلى ذلك المكان المُظلم المُحبب إلى قلبى.

* * * * *

كَيف عَرف إسم أمه؟!

إن ذلك الشخص يعرف أشياء أكثر من اللازم!، معلومات لا يعرفها أحد على الأطلاق يعرفها ذلك الرجل، كيف وَصل إليها؟!، إن (يوسف) لم ينسى تلك المقابلة الأولى مع ذلك الشيطان، لم يَنسى حرفًا مما قاله (عباس) فيها.

كان (يوسف) يحاول أن يتسابق مع الزمن للوصول فى الموعد المحدد، لا يعرف ما الذى سيحدث، ما الذى سيراه، هل سيقابل (عباس) للمرة الثانية أخيرًا؟!

سيعرف أى معلومة جديده؟!، لكنه لو عَرف!، هل ستقوده تلك المعلومة إلى بَر الفهم، أم تُطيره إلى حافة الجنون؟!

كُلها أسئلة دارت فى خَلده أثناء القيادة، قيادته كانت سريعة، ولحسن حظه كان الطريق خال أمامه فأصبح يهرول بسيارته، يَكسر إشارات المرور، لا يهمه كثيرًا فكلها ستزال بعدما يعرفوا أنه (يوسف حسين السيد) رجل الأعمال المعروف.

فى تمام الساعة الحادية عشر ظهرًا، كان (يوسف) واقفًا أمام التمثال، يمر المارة من أمامه مُتعجلين للوصول إلى غايتهم، لكنه كان واقفًا، مُنتظرًا إحدى البشائر التى ستنهمر عليه بعد قليل.

طَرقت فكرة خَلد (يوسف)، طبقها دون التفكير فيها وأخذ يُركز فى أوجه السائرين، رُبما يقوده أحد إلى (عباس)، ثم وفى تلك الأثناء، أحس بصوت يقع على الأرض، نظر بجواره فوجد شخص ينحنى ليلتقطها، كان مفتاح سيارته تقريبًا، وعندما عاد الرجل ليقف مُستطردًا طريقه، رأى (يوسف) شيء ما خلفه على الأرض، شيء ما رآه من قبل فى أعين أحد الأشخاص.

كانت تلك الرقعة التى يرتديها (عباس) على عينه، الرقعة البيضاء، تقف على الأرض يلفحها الهواء إلى الناحية الأخرى، فذهب (يوسف) بهدوء وألتقطها، ضَحك عندما بدأت المعلومات تتسرب فى عقله كالغاز.. إنه يعود.

وَجه ناظريه إلى الناحية الأخرى، وَجد شخصًا جالسًا بداخل سيارة يُراقبه، يبتسم ويضع راحة يده على ذقنه، رقعة عين سمراء على عينه اليسرى، تلك الملامح التى لم تتغير!

فُزع (يوسف) عندما رآه وشعر بإنتفاضة قوية تسير بين أطرافه، لكن ذلك الرجل بمجرد أن رآه (يوسف)، كان هادئًا وثابتًا وواثقًا من نفسه، فأنطلق مُسرعًا بسيارته.

هَرول (يوسف) إلى سيارته مُخرجًا بعض الأنفس الحارة من فاه، إستقلها بُسرعة وأنطلق خَلف تلك السيارة التى كانت تسير بتريث، بينما كان هو يسير بسرعة كبير كى يلحقه، لم يكن الطريق خالٍ كالعهد الأول، بل كان مليئًا بالسيارات والأبواق، فى عقله لا يوجد سوى شيء واحد فقط.

أريد أن أعرف الحقيقة، أن أعرف من هذا الشبح" . "

دَخلت السيارة الأخرى فى إحدى الطرق الجانبية فدخل (يوسف) خلفها، صُدم عندما رأى الطريق من أمامه، كان مُزدحمًا بشكل لا يُصدق، إخترق (عباس) بسيارته تلك الحواجز المصنوعة من السيارات بسرعته، وإختفى عن نظر (يوسف).

إختفى عن ناظره بسبب تلك السيارات المشابهة لسيارته بالضبط، فلم يعد بقدرته التفرقة بين سيارة (عباس) والسيارة الأخرى.

توقف (يوسف) على إحدى جانبي الطريق، أمسك بالرقعة التى وجدها، حَدق إليها مرارًا وتكرارًا ولم تمل عيناه من رؤيتها، هَوى إلى حافة الجنون، لم يُصدق ما الذى حدث منذ لحظات، هل من رآه هو (عباس) حقًا؟!، وما السر وراء تلك الرقعة!

لم ينتظر كثيرًا حتى يعرف الإجابة، خَرج من سيارته غير عالمًا لسبب خروجه، وعندما إختلط بصره بجفون الشارع والبشر، وَجد إحدى السيارات الكبيرة تقف أمامه، يخرج منها ثلاث أشخاص ضخام بحلات سوداء، يمسكون (يوسف) بيديهم فصرخ بشدة محاولاً النجدة منهم، لم يسمعه أحد لأن تلك الصرخة هدأت تماماً بمجرد أن وضعوا تلك الحقنة فى عنقه.

* * * * *

# الفصل الرابع

الليل قد أدجى، والشمس قد إنحدرت إلى مغربها، يبست أطرافى وجَمدت ملامحى، رأيت بشر يتجمعون حولى، الدماء تُحيطنى من كُل جانب، لا أفقه شيء سوى أن أغشى عليّ إثر ضربة قوية، نَظرت أمامى والدوار يُلكم عينى، لا أرى أمامى سوى بعض الشخوص، ولا أجد حافلتى التى أكسب منها لقمة العيش.

كانوا يحوقلون، فسمعت صوت أحدهم يَصرخ:"لقد إستعاد وعيه" بفرحٍ مُبالغ فيه، فسمعتهم يقولون:

-أنقلوه أقرب مشفى فإنه فقد الكثير من الدماء.

شعرت ببعض الناس يمسكوننى من يداى وقدماى بصعوبة، ينقلوننى إلى إحدى السيارات ويضعونى بالكنبة الخلفية، يأتى أحد الأشخاص بضمادة جروح يضعها حول رأسى، أشعر بعقلى ورأسى قد فارقها موضعهما وحَلّ مكانهما الضجيج وصوت صفير مُزعج، أشعر بظمأٍ لم أشعر به فى حياتى بأكملها، فأول شيء نطقت به والجميع من حولى:

-أريد ماء..

نطقتها كالطفل الصغير الذى يتهجى أول كلماته، رأيتهم ينظرون لبعضهم، لا يعلمون من أين يأتوا بماء فى وسط الطريق هكذا والسيارات تمر من جانبهم، فسمعت صوت أعهده جيدًا، لكنى لم أستطيع رؤية وجهه، يخبرهم:

-تفضلوا، وَجدت الماء فى سيارتى.

إبتسموا إليه شاكرين، ثم مَدوا يدهم لي ووضعوا قارورة الماء بفمى، شربت حتى أرتويت، فسمعت نفس الصوت يتحدث:

-فلتصحبك السلامة يا أبن زايد.

لم أستطع رؤية وجهه نهائيًا، لأنه كان على الجانب الأخر من السيارة، فسمعت صوت خطوات ذلك الشخص يخترق أذنى، فعلمت جيدًا أن هذا الشخص هو (عباس) ذاته.

رَحل الجميع من السيارة، لم أستطع أن أخبرهم شيئًا، فنظرت إلى زجاج السيارة وقد تمزقت أحبالى الصوتية من شدة الألم المُغطرس فيه، وعندما دققت النظر أمامى، وَجدت تلك رقعة العين التى إرتداها فى المقابلة الأولى، متواجدة على السيارة من الخارج.

ضَحكت إثر فهمى للرسالة تلك..

عباس) لم يبدأ بالتلاعب معى حتى اللحظة، فهو إلى الأن يُمهد إلى اللعبة) الحقيقية التى لا أدرك عنها شيئًا!

* * * * *

تَربص (يوسف) فى الصحراء الخالية من أى بشر، جماد، حيوان، لا يوجد كائن حى على تلك الأرض النائية، كانت أنفاسه مُتهدجة، مُتقطعة، لا يَدرى ما الذى حلّ به ليأتى إلى ذلك المكان وحده.

دَنت الشمس من كوكب الأرض، وأرسلت حرارتها الصافية الخالية من أى برودة،

فشعر بالحرارة تعتصر جسده الضارع، إنتظر إشارة للتحرك نَحو اللاشيء.. ثم بغتة.. وجد شخصًا يقف بعيدًا منه، هادئًا، لا يُعطى أى إنطباع.

كان واقفًا عاكسًا إتجاه وجهه، كان يعطى له ظهره، ففقه (يوسف) أن تلك هى الإشارة للتحرك، عندما خاط أولى خطواته، سمع صوت برق يصم أذناه، إعصار شديد، مَطر.

إنبثق الليل مُسرعًا وإنحدرت الشمس، أمطرت السماء ثلجًا وتوهج الظلام بنجومه، شعر بالبرودة الشديدة تلتهم جسده، فصرخ بصوتٍ عال على هذا الرجل، لكنه توقف فجأة، جاحظ العينين، عندما رأى ذلك الرجل، واقفًا على مقربة منه، يَنظر له فى عينيه مُباشرةً، فلا يظهر منه سوى عينيه فقط، يرتدى جلباب فضفاض وغطاء رأس.

خرج البخار من فم (يوسف)، تجمدت أطرافه، سقط على الأرض، أخذ يرتعد وأطرافه تتجمد أكثر فأكثر، فنظر لذلك الرجل، سمع صوته يقول:

-لا تُحاول أبدًا أن تثق فى أى بشرى.. حتى لا تثق فى نفسك.

ظهرت معالم الرجل، لقد كان وجه (عباس) يبتسم لـ(يوسف)، كانت عينيه سليمتين، تَحرك (عباس) من فوقه بعيدًا، فتجمدا جُفنا (يوسف) وأهدابه، وتوقف البخار عن الخروج من فيه.

صَرخ (يوسف) بمجرد أن فتح عينه من ذلك الكابوس، إنتفض من مكانه، فرأى ذلك الشخص الذى يكرهه بشدة، الطبيب (كامل) جالسًا أمامه كالشيطان الوسيم، مُبتسمًا إليه، فسأله (يوسف) بغضب:

-كيف أتيت هُنا؟!

أضمر (يوسف) التعب، لكنه لم يتخل عن غضبه، حَدج (كامل) بطريقة مُريبة، فنهض من مكانه وسأل (يوسف):

-ماذا تود أن تشرب؟!

صَرخ فيه:

-كيف أتيت إلى هُنا؟!!!!

فأنطلق صوته يعدو نحو أطراف المكان ليكرر الصدة، فنظر له (كامل):

-أعلم أنك تحب الكوكاكولا.

وَضع له فى الكأس المشروب المحبب لـ(يوسف)، فأنهال عليه بالسباب حتى أصبح وجهه أحمر من شدة التعصب والصراخ، لم يرتكب (كامل) أى تصرف، بل وَضع الكوكاكولا على الصينية ووضعها أمام (يوسف) الواجم، أخذ الكوب الخاص به وجَلس على المقعد المقابل لـ(يوسف):

-إذًا، إلى أين وَصلت حالتنا؟!

قالها بإبتسامة سخيفة نشرها لتُروج عن (يوسف)، فقال بعدما وازن الأمور:

-وهل من الممكن أن يفعل طبيب مثلما فعلت أنت؟! تختطفنى من وسط البشر كى تسألنى عن حالتى؟!

شعر (كامل) بالإحراج، لكنه لم يعير له إهتمامًا، فأخبره بشيء من التحد:

-كُنت أعلم أنك لازلت تبحث عن (عباس)، إذًا ما رأيك لو عُدت إلى المشفى!

رَمقه بنظرات غريبة، فتحدث بهدوء وثقة:

-ظللت سنة فى المشفى ولم أنسى الأمر، عندما خَرجت وجدت كُل شيء كما تركته، حتى (عباس) لم يتنح جانبًا بل كان موجودًا كما هو، بل والأكبر من ذلك أنى رأيته مُجددًا.

إستطرد (يوسف) بعدما وَجد نظرات الإحباط تغزو إمارات الطبيب:

-إذا حبستنى بين أربعة جُدران ولمدة ثلاث أعوام فلن أنسى، بل سيظل (عباس) بأعماق ولن يخرج إلا بمجرد خروجى، وسيلعب لعبة أقذر مما نحن فيه، أنت

ستحبسنى، نعم، لكنك لن تَحبس (عباس) معي.
نَهض (يوسف) من مكانه، يَنظر إلى تلك العيادة الفخمة التى صَرف عليها (كامل) الكثير، أمسك حاملة الزهور التى تتوسط المكان، فتكلم (كامل):
-أنا طبيبك الخاص، أحاول علاجك لكى تستطيع العودة إلى سابق عهدك!
نَظر (يوسف) إليه بغضب عارم، وقال بسرعة شديدة:
-وهل يا تُرى طبيبى النفسى سيعالجنى أم يحبسنى فى غرفة؟!، هل يا تُرى طبيبى الخاص جعلنى أعلم لِمَ أنا مَريض؟!، لم يكن هُناك سبب واضح أيها الطبيب، إلى الأن لم أعرف من هو (عباس) هذا؟!، هل هو شيطان أم خيال؟!
أومأ الطبيب برأسه بعدما شعر بالمهانة الشديدة، وقال فى تلعثم:
-أظن أنه الإختيار الثانى..
ضَحك (يوسف) غير مُصدقًا لم سمعه، إختفت ضحكاته وظهر الغضب على وجهه شديدًا:
-تَظن؟!!، هل حبستنى عام فى غرفة قذرة لأنك تظن؟!!، هل تَمزح معى؟!
فجأة نَهض (كامل) من مكانه وصَرخ فى (يوسف) كى يهدأ، لكنه لم يهدأ:
-كيف أهدأ وأمامى ذلك الشخص الداعر إبن العاهرة؟!
صُدم (كامل)، إحتدم الغيظ والغضب بوجهه فى آنٍ واحد، أنذر وجهه بغضبٍ جارف لم يراه (يوسف) فى أعينه، لم يتوانٍ (يوسف) عن سبه، فظل يسب ويسب إلى أن هدأ تمامًا، فجلس على مقعده وأخذ كأس الكوكاكولا، تجرع منها الكثير، وأخبر (كامل) أن يهدأ ويجلس.
لقد فعل ما أراد، كان يود أن يُخرجه عن شعوره ليشعر بلذة الإنتصار..
جَلس على مقعده والغضب يجتاحه، لكنه قرر الهدوء، أخذ نفسًا عميقًا فخَرج معه ذلك الغضب والغيظ، إبتسم لـ(يوسف)، فتكلم:

-إذًا كُنت تود معرفة من هو (عباس) أليس كذلك؟!
أومأ (يوسف) برأسه، بدأ بالإعتدال فى جلسته كى يسمع بوضوح، فتحدث فى سرعة ومهارة:
-فى تلك الفترة التى رأيت فيها (عباس)، كان عقلك مشحونًا بالكثير من الطاقة والضغط النفسى والعصبى، كُنت على دراية بالكثير من الأشياء من حولك، هذا لم يكن جيدًا بالقدر الكافى عكس ما تظن، بالرغم من أن العقل البشرى كبير جدًا ويستطع تخزين الكثير والكثير من الأشياء، إلى أن عقلك الباطن بدأ فى العمل أكثر من اللازم، فخلق تلك الشخصية التى إسمها (عباس)، لا يراها أحد، لا يسمعها أحد، إلاك.
شرب صبابة من الكأس، وأستطرد:
-بدأ عقلك الباطن يخلق الكثير من التفاصيل المتجسده فى شخصية (عباس)، أتستطيع أن تفسر لي، كيف عَرف عنك كُل تفاصيل حياتك؟!، كيف عرف أنك تُحب فتاة أسمها (رشا)؟!، أنا نفسى صُدمت عندما عرفت تلك المعلومة منك عندما قصصت عليا قصتك، تلك الرقعة التى وجدتها اليوم فى الميدان، هُناك الكثير من الأشياء التى تُثبت أن لا وجود لـ(عباس)، أبسط مثال لقصتنا، كيف لا يراه أحد من حولك؟!، عندما ذهبت لتلك الشقة، كيف قابلته فيها وهى أصلاً خالية من السكان لا يوجد بها أحد؟، العقل الباطن هو أفظع الأشياء الموجودة فى جسدنا، فهو يستطيع خَلق أشياء كثيرة.
إنتهى (كامل) من السرد، لم يُصدق (يوسف) حَرفًا من أى كلمة قالها، لكن كلامه منطقى، ومن الممكن أن يكون حقيقيًا، لكن (يوسف) شعر بوخذٍ فى رأسه، فقال لكامل:
-أستأذنك، يجب عليّ الرحيل.

نَهض (يوسف) من مكانه وسار ناحية الباب، لا يشعر بأى شيء على الإطلاق وكأنه مُجرد من الأحاسيس، فَتح الباب، فسمع صوت (كامل) يُناديه:

-(يوسف)..

نَظر إليه مُتلهفًا:

-لا وجود لـ(عباس)..

* * * * *

مَرت أيام قلائل، وقد سُرقت حافلتى التى أنفق منها.

إستعوضت الله خيرًا، وزوجتى كانت باسلة، صابرة، تعرف أن الله يفعل هذا لسبب، كانت عينى اليُمنى مُصابة، فوضعت ضمادة عليها وأخرى تحيط رأسى، كان الألم يأتى على أشده يوميًا.

كُنت أحب زوجتى، لم تبخل عليّ بحنانٍ ولا عطف، كُنت أطلب منها تعطينى أكثر مما أريد، لم تُصيح في يومًا، كانت تُحبنى وكنت أعلم ذلك أكثر من أى وقت سبق.

فالزوجة المعينة لزوجها فى الشدائد، هى خير سَند وعونٍ فى الحياة.

خَرجت من المنزل وأتجهت نَحو الموقف عبر تلك الحافلة التى يقودها أحد الغرباء، إنسدرت ستائر الظلام وحَل بدلاً منها نور الشمس المُتوهج كمشكاة، ذراعى الأيمن يؤلمنى بشدة، لقد دمرونى تدميرًا قويًا، أضمرنى التعب كما لم يُضمرنى قِبلاً، لكن لا يهم، يجب عليّ أن أذهب إلى الموقف كى أخبرهم أنى لن أعود مرة أخرى.

وَصلت الموقف، صعدت على درجه المُتهالك، رأيت ذلك الكشك المُتربص بداخله، سلمّت على الحاج (سالم) صاحب الكشك فبادر والأسف يَحد وجه:

-ألف سلامة عليك يا أسطا (صالح).

تَركت الـ(سلامة) تُحلق بعيدًا عنى، وخِطت طريقى نحو الأصدقاء، أصافحهم فيقولون لى جملتهم المعتادة:"الف مليون سلامة عليك يا أبو (صالح)، تعيش وتأخذ غيرها"، ثم تنطلق تلك القهقهة المُستفزة التى تأتى فى غير مَحلها.

وأثناء سيرى البطيء، وجدت أكثر شخص أمقته فى حياتى، يأتى فى المرتبة الثانية بعد (عباس)، يأتى ويصافحنى، بل ويعانقنى دون النظر ليدى المُكبل بحمالة، تأوهت بسبب ألم يَدي، فوجدته يُخبرنى بأنه:"أسف، لم آخذ بالى"، لو كان كفيفًا لرأى تلك الحمالة التى تحمل يَدي المجزوعة.

سمعت صوته:

-إذًا ما الذى حَدث؟!

حَدقت إلى الأرض بفارغ الصبر، فتحدثت:

-(بسام).. لا يوجد مَجال للحديث الله يبارك لك، دَعنى أُخبر الجمع أنى لن أستطيع القيادة ثانيةً.

تَعجب (بسام) وثنيّ حاجبيه:

-لِمَ لن تقود مرة أخرى؟!

تأفأفت، إشتد حنقى، لكن ما الذى بيدى فعله؟!، تحدثت بتعصب:

-سُرقت حافلتى ومحفظتى وأموالى وهاتفى، كُل شيء يَخصنى قد طَار وحَلق بعيدًا عنى.

تَضاعف تعجبه مَرتين، دَنى منى وقال بثقة:

-إذا سمحت.. هل سُرقت سيارتك؟!، كيف؟!، إنى أراها يوميًا منذ أسبوع فى مكانها الخاص، لا تتحرك ولم يمسسها أحدًا بسوءٍ!

شعرت بصفعةً تُلوى جسدى، تقف شعيرات رأسى ويداى مُنتبهة لذلك الحديث، لم أنبس ببنت شفة، إنطلقت مُهرولاً رغم أن التعب يلتهمنى بتلذذ، أنفاسى

تتصاعد ويتصاعد معها الطمأنينة والشعور بالأمان، وأتنفس بدلاً منها الخوف والقلق، وكأنهما يسيران بدلاً من الدماء فى جسدي، يُغذيان كُل جزءٍ به ويتمان عملهما على أتم وجه.

عندما نَظرت إلى المكان التى أضع سيارتى به دومًا، وجدتها واقفة، شامخة، لم تتغير وضعيتها ولو كأنى لم أتحرك بها أصلاً، شعرت بإمارات وجهى تتبدّل، لا تستطيع اليقين بأنها سعيدة أم مُشتاقة للمعرفة، لم أستطيع معرفة ما هو شعورى.

إلتمع الغضب المكبوت بعينى، راودتنى أسئلة كثيرة، تهربت منها لأنى لا أعرف إجابة لها، وَجدت قدماى تسير حسب أوامر عقلي نَحو الحافلة، كان التراب يَشع من حافلتى، وضعت يدى اليُسرى عليها، وكأنها إبنتى التى فُقدت منى لأيامٍ، نَظرت فى إنعكاس المرآة على وجهى الذى دَهس عليه الزمن بحذاءه المُتسخ، إبتسمت لإنعكاسى ذلك، وفتحت باب السيارة بهدوء، دَخلت مُبتسمًا، لكن تلك الإبتسامة لم تَدم، فعندما وجدت هاتفى ومحفظتى موجودين على الدواسة، قبتضهما مُتلهفًا بيدي، وَجدت أموالٍ أكثر مما كانت فى المحفظة، لقد كان هُناك خمسون جُنيهًا، الأن يوجد رزمة أموال بأوراق مئة جنيه!

ما الذى يوده ذلك الشيطان منى؟!، أنا حتى لا أعرف أسمه كاملاً، لا أعرف أين يَقطن ولا أى شيء عنه سوى أسمه (عباس)!، أليس من دواعى العدالة أن أعرف أي شيء عن ذلك الرجل الخَفى الذى يُحاربنى؟!، هو يعلم عنى الكثير من الأشياء بينما أنا لا أعرف عنه شيئًا!

إشتقت للقيادة كثيرًا، إشتقت لأركان سيارتى التى أحفظها كأسمى، نَزلت من السيارة وفتحت الباب على مصراعيه، ثم ناديت:" إسكندرية إسكندرية"، بُمجرد أن ناديت، وَجدت الكثير من الناس يأتون ويدخلون إلى السيارة، حَمدت

الله على فضله وشَكرته، فإذا بسيدة ترتدى ملابس سوداء، حجابًا أسودًا، عينيها مليئتين بحُزن دفين، وجهٌ يتلألأ بطيبة، تسألنى:

-لو سمحت يا بُنى بارك الله فيك.

نَظرت إليها، فوجدت نفسى أنساب بين دَفتيها، فتحدثت:

-أوامرك يا أمى.

إبتسمت، فشعرت بصفاء قلبها، وبادرت:

-الأمر لله، لو وددت أن أرسل خطابًا إلى الأسكندرية، ما الذى يتوجب عليّ فعله؟

مالبثت أن برزت أسنانى فى ترحاب، وأخبرتها:

-سأوصله لكِ أنا يا أمى، من فضلك الخطاب.

مَدته إليّ وأستسرت، سعدت لسعادتها، فتكلمت موضحة:

-الشخص الذى سيأخذ منك الخطاب سيكون موجودًا بعد أربع ساعات من الأن أمام بوابة القاهرة فى الأسكندرية بإنتظار قدومك.

أومأت برأسى، فأستطردت:

-إن لم تجده، ففى الطرف الآخر من الخطاب ستجد رقم هاتفه، إتصل به.

لم أرى الجانب الأخر منه، بل أومأت برأسى وأخبرتها أن كُل شيء على ما يرام، وَضعت السيدة يدها بداخل حقيبتها، فحلفت بالطلاق أن هذا لن يحدث، إبتسمت السيدة فشكرتنى كثيرًا وأنطلقت بعيدًا عن مرأى عينى.

عندما نَظرت إلى الحافلة، وَجدتها قد إكتملت تمامًا، حَمدت الله، فدخلت الحافلة ووضعت المفتاح بها.

ثم أنطلقت مُبسملاً.

* * * * *

خَرج (يوسف) من العيادة، شريدًا طريدًا ملتاعًا حائرًا، وَضع يديه فى جيوبه،

سار فى طريقه دون أن يعرف وجهته، شعر بإهتزاز هاتفه فى جيبه، أخرج الهاتف فوجدها (رشا) تتصل به، رَد عليها ببرود:

-ماذا هُناك؟!.. السيارة!، ما بها؟!، لِمَ وضعتيها فى الشارع الخلف.. . ، مَهلاً!، كيف عرفتِ أنى فى العيادة؟!!

أُغلق الخط فجأة، كانت تتكلم بتلعثم واضح، نَظر حوله، يرى أوجه البشر السائرين، كان خائفًا منهم واحدًا تلو الأخر، يغشى أن يضره أحد، فهو يود أن يظل وحده.

بغتة، وجد أحدهم يقف قبالته، يراه بوضوح، عندما نظر له (يوسف) فعل أي شيء لتجنب الريبة، أخرج هاتفه من جيبه وأخذ يتصفح ما فيه من تطبيقات.

بدأ (يوسف) يعرف أن ذلك الرجل موجود لمراقبته، بدا له كشخصٍ غبي، فكيف له أن يقف فى قبالته هكذا ولا يشك فيه؟!، ينَظر له خلسة فينة بعد فينة، إبتسم (يوسف) إلى الرجل الغامض، لكنه لم يعيره إهتمامًا نهائيًا، بل كان الرجل خائفًا منه بشدة.

مَر إلى الجانب الأخر كى يقف بجانب ذلك الرجل، وجده يتحرك بخطوات سريعة فتحرك خلفه (يوسف) بمهارة، بدأت خطوات الرجل فى الإسراع أكثر، ثم هَرول الرجل فهرول خلفه.

ركضوا مُسرعًا خلف بعضهما البعض، رَكض (يوسف) دون أن يعرف لِمَ يحدث كُل هذا!، لابد وأن هذا الرجل أحد أتباع (عباس)، رَكض خلفه إلى أن وَصل العرق إلى رئتاه، دخلا منطقة يكتسى بها الظلام، خالية من الضوء تمامًا، فتوقف (يوسف) بعدما سمع صوت خطوات الرجل تهدأ، عَلم أنه يقف هُنا فى مكانٍ ما.

تَحسس (يوسف) الحوائط بيده كمن أصابه العمى التام، شعر بالأدرينالين يجتاح جسده، فهو حتى لا يعرف أين يقف ذلك الرجل؟، خلفه أم أمامه؟!، لابد

وأن هذا الرجل سيتصرف كي يبعد (يوسف) عنه.
فسرعان ما سمع صوت خطوات الرجل يأتى من يمينه، ذهب تجاه الصوت والخوف يغتصبه، كانت خطوات بطيئة للغاية كى لا يسمعها (يوسف) لكنه شعر بها.
صرخ (يوسف) مُحاولاً إبادة الخوف بداخله:
-إذا كُنت تسمعنى، فيجب عليك التوقف الأن، سنحل كُل شيء بطريقة ودية بدلاً من إراقة الدماء.
شعر بالطمأنينة بعدما نَطق تلك الجملة، سكنت حركتهما تمامًا، فإذا بعمود الإضاءة يضيء فى ذلك الشارع الصغير الذى لا يوجد به منازل أو سيارات.
وَجده شاخصًا أمامه، لا يفعل شيء سوى أنه كان مُمسكًا بمسدسه مصوبه تجاه مُخه، فُزع (يوسف) من ذلك المشهد، إنه يحتاج له، يحتاج لكى يفسر له الكثير من الأشياء، نظر له وهو يحاول تهدأته:
-إهدأ، لا ترتكب خطيئة، سنحل كُل شيء بطريقة ودية.
ضحك الرجل بشدة، إرتاب (يوسف) منه، ظن أنه هاربًا من مشفى المجانين، هدأ صوت ضحكاته الذى ردد صداه الشارع الضيق، فتحدث بجنون:
-لا يوجد شيء أسمه طريقة ودية، الدماء هى حُل جميع المشاكل.
صَرخ فيه (يوسف) فأرتعد الرجل:
-لاااا، لا تكن أحمقًا..
إزدرد ريقه مُحاولاً إستيعاب ما يحدث:
-لا أريد منك أكثر من الإجابة على سؤالين إثنين فقط، وصدقنى ستنتهى الحكاية تمامًا وسأتركك كما كُنت.
صَمت الرجل فى إنتظار الأسئلة، فَكر (يوسف) كثيرًا قبل النطق بأى سؤال، لكنه

عرف أن هذا السؤال يَلح عليه كثيرًا:
-هل تعرف شخصًا أسمه (عباس)؟!
تلك اللحظات كانت الأسوأ فى دهر (يوسف)، كان خائفًا، يُريد أن يعرف الإجابة، صاغ أذانه لكى يسمع الإجابة التى ستُريح جسده وعقله وخاطره إلى الأبد.
لكنه لم يسمع الإجابة، بل سمع صوت طلقة رصاص إخترقت حاجز الصوت، ورأى الدماء تُغطى وجهه، صَرخ (يوسف)، هرول ناحية الرجل التى أتت الرصاصة فى مخه بالضبط، أمسك بالجثة قبل أن ترتطم بالأرض.. وهُنا عَرف، أن اللعبة تَكبر كُلما زاد الزمن.. وليس العكس، وَضع الجُثة على الأرض بهدوء، إمتلأ وجهه وملابسه بدماء الرجل، أمسك بمسدسه وفتح خزانة الرصاص، لم يكن هُناك أى رصاصة بالمسدس، المعنى الذى إستنتجه (يوسف) أن تلك الرصاصة التى إخترقت مخ الرجل لم تأت من مسدسه، بل قتله أحد الأشخاص من خلفه.
جَلس بجوار الجُثة، أخذ يتأمل تلك الجثة الغارقة فى دماؤها، ثم وفى أثناء تلك التأملات المليئة بالرعب..
إنقطع ضوء الشارع الغير مُكتمل، فأصبح وحده مع تلك الجثة التى لا يَدرى عنها شيئًا، فَتش جيوب الجُثة مرارًا، وَجد ورقة مطوية، نَهض من مكانه، وضع الورقة فى جيبه..
ثم أنطلق، والهًا إلى قصره.

* * * * *

نَزل الحَشد من الحافلة فور وصولى موقف الأسكندرية، صففت سيارتى بجانب أشباهها ونَزلت منها أنا الآخر، كانت الحرارة عالية أشعر بالعرق يملؤ فراغات جسدى.
أمسكت الخطاب بيدي، جلست على إحدى الإستراحات الموجودة فى الموقف،

وضعت الخطاب بجانبى وجلست أنظر وجوه الناس، أتأملها، أنتظر أن يتقدم أحدهم نحوى ليخبرنى أن هذا الخطاب له.

وَجدت مجموعة كبيرة من الناس يخرجون من سيارة حديثة النوع، مُرتدين حُلة براقة ورابطة عُنق زرقاء، كانوا مُبتسمون ولابد أن السعادة فى نفوسهم أكثر من ذلك العرق الذى يملؤنى كزجاجة مياه، لم أعلم ما الذى جعلنى أنظر إلى ملابسى تلك وأحتقرها، أنظر إلى حافلتى وأسبها، لِمَ أنا لست مثلهم؟!

الذين قالوا أن الأموال لا تشترى السعادة، لابد وأن أموالهم كانت قليلة لشراء ما يحتاجونه.

لا داع للنم والحسد، ينبغى عليّ أن أرض بما قسمه الله إليّ ولزوجتى، فأنا أعلم بل أوقن أن هُناك خيرًا سينهال من السماء كالمطر، يُغرقنى بخيراته وأمواله.

قبضت على الخطاب بيدى، إقتربت عينى من ذلك الكلام المكتوب الذى لم أقرأه بإهتمام، ذلك الرقم الموجود على الغلاف، أخرجت هاتفى كى أُحادث ذلك الرقم.

كتبت الرقم ببطء شديد وأتصلت، أجد صفارة مزعجة تأتى بين كُل ثانية والأخرى، فأنظر إلى الشاشة ليخبرنى بأن الرقم مشغول، إنتظرت دقيقتين وإتصلت ثانيةً.. مشغول مرة أخرى.

تأفأفت وأشتد ضيقى، شعرت بالملل الشديد يحيط بكُل جزء فى المكان، فأتصلت للمرة الأخيرة، مشغول مرة أخرى، يبدو أن الرقم يتحدث مع حبيبته، لكن هل يتحدث أحد مع حبيته فى مثل هذا الوقت من الظهر؟!

وَجدت شخصًا يقف أمامى مُمسكًا هاتفًا، لا يتصل بأحد بل هو قابضًا عليه فقط، إقتربت نحوه وطلبت منه بخجلٍ:

-إذا سمحت، هذا الرقم، أتصل بيه فى كُل مرة ويعطينى مشغولاً، أرجو أن

تحاول الإتصال من عندك فيبدو وأن هاتفى مُعطل.
وجد الشاب يبتسم، كان شابًا – على الموضة – كما يقولون، يرتدى حذاءً رياضيًا وبنطال ضيق وقميص مُشجر مُصففًا شعره على الجانب الأيمن، وهناك خط غريب فى شعره.
أعطيته الخطاب فأمسك الرقم وكتبه فى الهاتف، إتصل عليه.. ليته ما أتصل.
لقد كان الرقم رقمى، الهاتف الذى يرن الأن هو هاتفى، جحظت عينا الشاب، فسرعان ما رديت على الرقم، قُلت كلمة "ألو" فوجدت صوتى يخرج من الناحية الأخرى أيضًا!
ضاقت أنفاسى، دوار رأسى يقتلنى، الصداع يُفجر رأسى، تماسكت، وجدت الشاب يسير بعيدًا عنى، سمعت صوت صفارة صغير يجتاح مسامعى، علمت أن هذا الصوت من الصداع.
أمسكت الخطاب لأرى ما كتب على الناحية الأخرى من الغلاف، وجدت إسمًا:

"إلى أ/ صالح زايد النقراشى "

إرتقى قلبى نحو حافة عالية، قفز، فبدأت نبضاته تزيد وتزيد، فتحت الخطاب، وَجدت كلمات كُتبت بحرفية شديدة وخط مميز:

" إنى أعرفك جيدًا".

لم أكن قادرًا على إعطاء أى تعابير، بل فقط شعرت ببلل يغزو ملابسى من الأسفل.

* * * * *

عاد (يوسف) أدراجه إلى مكتبه بعد ليالٍ إختلطت بالخوف والكوابيس، حياته كانت هادئة، لا يوجد بها جديد إلى الأن، كان يتمنى أن تصير حياته على هذا المنوال يوميًا.

النوم.. العمل.. الطعام.. النوم.

لم يكن يُريد أكثر من هذا، لا راحة بال، لا خوف، لا قلق، لا شياطين، كان يُريد فقط أن يعيش سعيدًا، كبقية الناس، يسأل نفسه دومًا، لِمَ إختاره (عباس) دونًا عن سائر البشر، ما المُميز عنده؟ كان يعرف أن أخطاءه تَزيد، كُلما زادت أخطاءه كُلما زاد شقاءه وعناءه، لِمَ لم يقتل أبيه منذ البداية؟! هل له أن يكون إنسانًا سعيدًا، بدلاً من هذا الشقاء الذى يعانيه؟!

دَلف إلى مكتبه، يَتحاشى أنظار العاملين بالشركة، لا يود أن يراه أحدٍ بتلك الهيئة الضارعة، الواهنة، إعتادوا رؤيته بهيئة (يوسف) القوي الصلد الذى لا يخشى شيئًا أبدًا، كُل يوم يَمر عليه يكون أكثر ضعفًا من ذى قبل.

شعر أنه مَذهوب العقل، لا يَود شيئًا من تلك الدُنيا سوى أن يرحل (عباس) عنه وعن أحلامه، حتى الشيء الوحيد الذى يرتاح به إقتحمه (عباس).

عِندما دَخل (يوسف) إلى مكتبه، وَضع المعطف الخاص به على المقعد الذى يَجلس عليه، أراد أن يأخذ قسطًا من تلك الأصوات المزعجة بالخارج.

جَلس على مقعد جلدى مُريح، مَدد قدميه وأرجع رأسه للخلف مُتسولاً طالبًا راحة البال وهدوء العقل، إنقطعت سيّل الأفكار الشيطانية من رأسه بُمجرد أن نظر أمامه، تَغطرس ناظره نحو مكتبه الموضوع عليه من الأمام خطاب مَطوى أبيض اللون، نَهض (يوسف) مُتعجلاً، مَدت قدميه مُسرعة نَحو الخطاب، أمسك الخطاب ورأى ما كُتب عليه من الخارج:

"إلى أ/ يوسف حسين السيد"

مَزق الغلاف الخارجى للخطاب، سقطت الورقة على الأرض، إلتقطها من الأرض بنفاذ صبر، عَدّل من وضعيتها، قرأ ما فيها بتلعثم:

" إنى أعرفك جيدًا "

إرتعشت أطرافه، سقطت الورقة من يده التى إهتزت مرارًا، نَظر إلى الأرض فى محاولة لإدراك الأمر، لكنه وَجد نفسه يرتطم بها، وهو يَرى الورقة أمامه، يتداركها الهواء من كُل جانب.

* * * * *

لم أكن أدرى لِمَ قلقت على زوجتى لتلك الدرجة!
أشعر وأن هُناك شيئًا ما سيصيبها فى تلك الدقائق التالية، يبدو وأن هُناك لعنة تَحل عليّ منذ الصغر، مُنذ وأن رأيت (عباس).. بل رأيت الشيطان.
وَصلت بحافلتى شارعى، صففت الحافلة بطريقة غير مضبوطة على الإطلاق، نَزلت منها مُسرعًا، أشعر بأن بنطالى قد قُرب على الفساد، لم يكن على ذلك الغبى أن يعرف أين سيجرف مياهه العفنة؟!
لقد سكب المياه التى كانت فى سيارته على بنطالى بالكامل، عندها شعرت بذلك البلل القذر، لا يهم الأن..
صعدت إلى البيت، أمسكت المفاتيح بسرعة وفتحت الباب، وَجدت الأضواء مغلقة، أغلقت الباب بهدوء كى لا تستيقظ إذا كانت نائمة، سِرت على أطراف أصابع قدماى، تسللت إلى غرفتنا عُنوة وجدتها نائمة فعلاً، إنى أراها دومًا بنظرة الطفل البريء المسكين، أبتسم فى أعز المحن عندما أنظر لها فقط، تمتلك أكثر وجهًا قُربًا لقلبى، إختلست الغطاء من جسدها كى تستيقظ، لكنها لم تستيقظ.
نَزلت تحت الغطاء بجوارها وأحتضنتها بشدة حتى صار جسدى ملاصقًا لجسدها، كان صوت أنفاسها بجانبى، أخذت أتحسس شعرها بأناملى، أضع يدي على جبهتها، رأيتها تفتح عينًا ومغلقة أخرى، فإبتسمت لها.
قبلتها قبلة خفيفة على رأسها من الخلف، فإذا بها تستدير إليّ تُحدثنى والنوم يهلكها، لاعبت وجهى بإصبعها، فبادرت مُبتسمة:

-إذًا هل عُدت؟!
كانت تضحك، تظاهرت بالضحك أمامها أنا أيضًا كى لا تشعر بأى شيء، حاولت نسيان ما حدث فى الصباح كى أستطيع إكمال ما بدأته، أن أنظر إلى وجهها فقط.
نادرًا ما كُنت أرى صديق لي فى العمل يُخبرنى بأنه مُستريح مع زوجته، يجب أن يخبرنى مدى سوء العلاقة بينهما، ويجب أن يلعنها فى السر والعلن، ويقول أنه نادمًا على تلك الزواجة المشؤومة.
عندما أخبر شخص ما بأن علاقتى مع زوجتى خير علاقة والحمد لله، أجده يقول لي يبدو أنك مُتزوج بفتاة من حور العين يا (صالح).
إبتسمت لها، فتحدثت:
-نعم عدت..
وجدت إمارات القلق على وجهها:
-ما بكَ يا (صالح)؟! هل حَدث شيئًا فى العمل؟!
نَظرت إلى السقف، فتكلمت:
-لقد وجدت الحافلة فى الموقف كما كانت.
تعجبت بشدة، فسألتنى:
-إذًا كيف؟!، أولم تُسرق منذ بضعة أيام؟!
حَركت رأسى يمينًا ويسارًا أى أنى لا أعرف، فوجدتها تُخبرنى:
-لا بأس، فالتحمد الله على عودتها سالمة، فهى من تجعلنا نشترى الطعام لنأكل، هى مأوانا.
إقتربت منها بوجهى المريض وقبلتها فى رأسها، ثم..
سمعت صوت أوقف أذنى عن السمع مؤقتًا، توقفت أركانى عن الحركة نهائيًا، كان صوت إنفجار، لا أعلم ما الذى إنفجر تحديدًا، إنتفضت (نور) فور سماع

الصوت، فنهضت أنا الآخر واجمًا نَحو النافذة، فتحت النافذة على مصراعيها، وَجدت جميع القاطنون فى الطوابق ينظرون، يحوقلون، يضربون كفًا بكف، نَظرت إلى الأسفل، وَجدت الدخان يتصاعد من حافلتى، النيران تَخرج منها، سمعت صراخ زوجتى بجانبى، جَزع الشارع كُله إثر ما رأوه، أما أنا فكُنت واقفًا، أشعر بثلج الكون كُله يعتصرنى، رأيتهم ينظرون إلى النافذة التى أطل منها، فجميعًا يعرفون أن تلك الحافلة خاصتى، ما أحزننى ليس الحافلة، بل زوجتى التى كانت تبكى بحرقة على الشيء الذى ننفق منه.

رَبت على كتفها، واقفًا بجانبها مُحاولاً أن أهدأ من روعها الفزعة ولا يقف أحد بجانبى يُهدأنى، قَبلت رأسها وأنا أُربت عليها، تلك اللوعة التى تجتاحنى فى المآسى، قلبى يؤلمنى بشدة كأنى مريضٌ به، ألمًا لا يعرف الرحمة، بل فقط ما يريده هو القسوة، تركتها وحيدة دون كلمة، وجدتها تُنادى بصوتٍ مليئًا بدموع مستكينة:

-صالح..

لم أجبها، بل نزلت أتأمل حافلتى المليئة بالنيران التى تشب بداخلها، جَزع الشارع كُله لأجل ذلك الحادث الذى لا يعلم أحدًا كيف تَم، وجدت الكثير من الأشياء الخاصة بالحافلة مُتطايرة فى جميع الجهات.

أخذت أنظر إليها حتى سقطت دمعة من جفون عينى دون أن أدري بها، أسمع صراخًا بداخلى لا أعرف كيف أنطق به بصوتٍ عاليًا، ألمًا كبيرًا لا يتحمله أى بشرى على وجه الأرض، أستطيع حِمله الأن، على عاتقى الذى قُرب على الإنشقاق نصفين، مَسحت تلك الدمعة من عينى الطالبة بالمزيد، وَجدت الكثير من الناس يأتون بالمياه ويسكبونها من أعلى لتهدأ النيران، أما أنا فظللت واقفًا أراقب ما يحدث، أحاول التماسك قدر الإمكان كى لا ترى زوجتى دموعى.

ثم صعدت مجددًا إلى البيت فوجدت زوجتى تبكى حتى حَمرّت عيناها، جالسة

على السرير، فأذهب نحوها كالطفل الصغير، أضع رأسى على حجرها الدافئ، وأخبرها:

-أريد أن أنام يا عزيزتى.

حاولت الفرار من البكاء والضعف، لكنى لم أستطع، ففرّت دمعة من الدموع التى أحبسها بداخل عينى، فوجدت يد زوجتى الدافئة تمسحها.. فعلمت أن هُناك من يسندنى فى تلك الحياة، بعد وفاة أبى – رحمه الله – .

* * * * *

عِندما فَتح عيناه، وَجد (رشا) جالسة على السرير أمامه، تُربت على رأسه ذو الحرارة المرتفعة، كانت أعينها مُخضلتان بالبكاء، نَسيّ الامه وتعبه عندما نَظر إلى عينيها البريئتين الصافيتين، الخاليتين من أى شر.

كانا وحدهما فى الغرفة، دون طبيبٍ أو شخصًا آخرًا، فسألها:

-هل أنتِ من أحضرتينى هُنا؟!

أخذت نَفسًا عميقًا، فهمّست:

-سار الطبيب ومعه بعض العاملين الذين حملوك إلى هُنا منذ بضعة ساعات.

تَعجب (يوسف)، فسألها:

-كم الساعة الأن؟!

نَظرت إلى الساعة المعلقة على الحائط، وأجبته:

-الرابعة فجرًا.

إبتسم لها فى إرهاق، فسمع صوت هاتفها يخرج رنينًا، نَظرت إلى الهاتف لتكشف عن إسم المتصل، ألقت الهاتف بعيدًا بمجرد أن رأت الإسم، لم يحفل (يوسف)، فبادرته بسؤالٍ:

-هل تذكر أخر شيء حدث لك؟!

أغمض عينيه فى إسترخاء تام، حَدق فى السقف طويلاً، فأجابها:
-آخر ما أتذكره هو سقوطى مغشيًا و تلك الـ.. .
تظاهر (يوسف) بالسعال، فهو لا يود أن يعرف أحد بأن (عباس) لازال بداخله، يُفتش بأعماقه، ينبش بأفكاره، صَمت مُدعيًا المرض، فعندما أراد أن يستطرد حديثه، وجدها تقترب منه وتضع قبلة على وجنته، أغمضت عيناها مِرارًا فنظرت إلى الأرض بخجل، فتكلمت:
-حسنًا.. فلقد خرجت عفوية منى.
تحاشت النظر له، فأبتسم هو غير مُصدقًا، أمسك يدها الشبيهة بقطعة ثلج، وَضعها على مقربة من فمه، قبلها عدة قبلات متتالية، ألقى ناظريه نحوها، كانت خائفة منه.
سُرعان ما أنقطعت تلك الأجواء المشحونة بالرومانسية والحُب بنفس الصوت المزعج لهاتف (رشا)، أمسكت الهاتف بضيق صدرٍ وردت دون النظر إلى الإسم:
-نعم يا (وائل)؟!، هل من الطبيعى أن تتحدث إلى فتاة فى الرابعة فجرًا؟!
صمتت تمامًا بمجرد أن سمعت صوته، يُخبرها بأكبر كارثة حَلت عليها مُنذ وطأت قدميها الدُنيا وما عليها، رأى (يوسف) الهلع بعينيها، فسألها والهاتف بين يديها:
-ما الذى حَدث؟!
كانت صامتة، فأنزلق الهاتف من يدها وسقط على الأرض معلنًا إنكساره التام، فقالت والصدمة تتحسس أجسادها:
-الشركة.. تَحترق.

* * * * *

تَخللت الصدمة (يوسف) عندما وَصل لمقر الشركة، وَجدها عبارة عن مَبنى مُحترق يَحفه السواد من كُل جانب، النيران تأكل الشركة، لم تترك مكانًا إلا

وأقتحمته عنوة.

لم يَكن يَدرك أن تُصبح تلك الشركة التى بناها أبيه من خلاصة جهده – كما يكذب على نفسه دومًا – تُصبح نهايتها كذلك، تأكلها النيران، بلا شفقة، إنتظر أن يوافيه أحدًا بالأخبار، لكن لم يأت أى أحد.

لم يتوجع (يوسف) مقدار ما توجعت (رشا)، فهى تقريبًا – وإلى الأن – لا تعرف شيئًا عن أعمال (يوسف) الإجرامية التى توقفت منذ ما يقرب من عام.

كانت تبكى بحرقة، وكأن تلك الشركة شركتها هى من أسستها ووضعت بها جهدها بالكامل، لم يَكن يدرك أنها تُحب الشركة والعمل بها أكثر من نفسه، كان يظنها إحدى العاملات بها، لكنها كانت فتاة مخلصة لها، لا تبخل عليها بشيء قط.

كان أغلب العاملون يسيرون بجواره، يعزونه على فقدان شركته، كان صلبًا وباردًا، لا يعطى أى إنطباع، لا يُريد أن يكون ضعيفًا أكثر من اللازم، كان يُفكر كثيرًا، كيف وَصلت النيران إلى المبنى بهذا الشكل البشع؟!، أولم يَكن هُناك الكثير من ضباط الأمن يحرسون الشركة وِفقًا لعملهم؟! أم إنهم كانوا نائمون أو يشاهدون التلفاز بداخل حجراتهم الضيقة المطلة على الشارع؟!

سار (يوسف) نَحو تلك النيران التى تَحف من الشركة، فأوقفه إحدى الضباط المسؤولون عن معرفة عدد القتلى، لم يكن يعرف الضابط ان هذا هو (يوسف حسين) بجلالة قدره وعظمته، كان للضابط أوامر أن يخلى المنطقة من أى بشرى حفاظًا على أرواحهم وسلامتهم، لكن (يوسف) لم يَكترث كثيرًا، لن يشعر بأى شيء إذا أصمّ أحدهم بخنجرٍ فى كبده، لن يشعر بأى شيء إذا أنطلقت رصاصة تعدو نحو قلبه، فلقد مات (يوسف) مُنذ أمد بعيد، مُنذ أن أقتحم تلك المشفى التى لا يدرى كيف دخلها ولما.

رأى المطافى تأتى بعرباتها الكبيرة، تُطفئ النيران من مَبنى الشركة بالكامل وقد

فلحت فى ذلك، ففى غضون خمس دقائق لم يَرى (يوسف) لونًا برتقاليًا يُرفرف فى السماء والأرض، البنايات والشوارع.

لم يشعر بأى ألم، لم يشعر سوى بصدمة، لم يعرف قط لِمَ إجتاحه الفضول لمعرفة كيف وَصلوا إلى الشركة وأحرقوها بالكامل؟!، حَمد ربه وشكره لعدم وجود أمواله بالداخل، وحمد ربه مُجددًا بأن الشركة ليست هى العمل الرئيسى الذى يعمل به ويعود عليه بالأموال الضخمة على قلبه.

ثم وفى تلك الأثناء.. تَحرك (يوسف) نَحو السيارة، خَطف (رشا) من يدها وأدخلها السيارة عنوة.

فأنطلق بسيارته، يعدو نحو اللاشيء.

* * * * *

# الفصل الخامس

نَمت لحيتى، طالت فى تلك الأشهر المُنقضية، لا يوجد عَمل، لا يوجد حافلة، إنتهى كُل شيء كحُلم فراشة تعيسة.

أربعة أشهر دون مالٍ حقيقيًا فى جيبى، إقترضت من فلان وأخذ من عِلان، كان صعبٌ للغاية أن تقترض الأموال، فالإقتراض بمثابة وحشًا جاثمًا على قلبك دون أن يتحرك قيد أنملة، إتخذ قلبك مَنزلاً له.

كانت زوجتى صابرة كعادتها، تعلم أن فرج الله قريب، أكثر مما يمكن، بَحثت عن عمل فى جميع الأماكن الموجودة حولي، لا يوجد وظائف شاغرة، كُلهم يغلقون الأبواب فى وجهى بلا تردد.

الديون زادت، كُلما أقترض قِرشًا أشعر بقلبى ينسحب ويتحرك من موضعه، أبيت فكرة الإقتراض مُنذ البداية، لكن كيف سأطعم زوجتى؟!، كيف سُأطعم نفسى؟! فى عشية ليلة كاحلة الظلام، طَلبت من زوجتى أن أسترخ قليلاً من تلك الهموم والأعباء، نَزلت وَحدى الشارع أتمشى، خِطت طريقى صوب كوبرى قصر النيل، رأيت الأنوار تَعم المكان، البشر يسيرون مُبتسمون، هل وراء تلك الأقنعة همومٌ

وأعباء مثل همومى؟!، كيف يستطيعون تخبأتها عن أبناؤهم وزوجاتهم؟!، حاولت أن أخبأ آلامى عن زوجتى (نور)، لكنها كانت تشعر بي، تعرف ما أمر به، وكأنى أسير بداخل طريق مُظلم، مليء بالشوك الذى يعُمى الأبصار، أضغط على واحدة تلو الأخرى دون راحة فيما بينهم، تسيل قدمى بالدماء ولا يستطيع أحد أن يُضمضها.

أخذت أنظر وأتأمل السائرين، أتأمل النيل من تحتى، أرى المراكب وما بها من عائلات مُستسرين، تاركين الهموم خَلفهم، يلهون مع صغارهم، هل يعلمون أن الفرج قد إقترب مثلى؟!، أم أنا فقط من يعلم ذلك؟!

لم آخذ وقتًا طويلاً، عندما إستدرت مُشرعًا فى إكمال طريقى، وَجدت إحدى السيدات الذين يتمشون مثلي وَحدهم، تفترش على الأرض مغشية عليها، وَجدت الكثير من الناس يحوطنها، فأقتربت منها مُهرولاً، أحاول أن أنقذها بأى طريقة.

وَجدتها على الأرض مُفتحة العينين، ذلك الوجه ليس غريبًا عليّ إطلاقًا، أعرفه جيدًا، ليس هذا المهم الأن، بل المهم كيف سأنقذها، سمعتها تَهزى بعنوانٍ ما، فعلمت بلا ذكاء أن هذا هو عنوان بيتها..

طلبت من الجميع أن يفسحوا الطريق كى أستطيع نقلها، طلبت من إحدى الأشخاص الواقفين أن ينقلها معى إلى أقرب سيارة أجرة تقلها إلى بيتها، هذا ما حدث بالفعل، أوقفنا سيارة أجرة، كُنت أنا مع السيدة وذهب الشخص الأخر ليتحدث مع السائق، أدخلنا السيدة إلى المقعد الخلفى وجعلناها تتمدد لكى تستريح أكثر، أغلقنا الباب. فسمعت صوت السيدة يأتى من داخل السيارة:

- أشكرك..

نَظرت من الشباك الخاص بالسيارة، فرأيت السيدة جالسة، تَنظر إليّ بعين

سليمتين لم يصبهما شيء، وهى تقول:
- الوداع يا سيد (صالح).
ضحكت السيدة، فبدأ عَقلى يُترجم ما حدث فى سُرعة شديدة، تلك السيدة!، إنى أعرفها حَق المعرفة، تلك السيدة هى من أقلت لها الخطاب الخاص بها من القاهرة إلى الأسكندرية!!
نَظرت السيدة أمامها، فإذا بشخص ما يجلس قائدًا للسيارة، كان ذلك الرجل هو (عباس) ذاته، يبتسم كشيطان بحق، فأنطلقت السيارة وأنا أسمع صوت قهقهة (عباس) والسيدة.
لم يهلعنى هذا، لكن فور ما تحركت السيارة، وجدت ظرف أبيض مُلقى على الأرض، مُنتظرًا من يأخذه..
وأظنه مُنتظرنى أنا.

* * * * *

بعد مُرور أسبوعًا كاملا.. خَرج (يوسف) من قصره ليرى ضوء الشمس الساطع.
لم تعرف الإبتسامة له طريق طول الفترة الماضية، وكأنه يعيش بشق الأنفس، يَكره الأرض وما عليها مُنذ أن أحترقت الشركة، ما الذى أستفاده (عباس) عندما أحرقها؟!
كان يسأل نفسه دومًا، ماذا لو كان (عباس) خيالاً؟، لا يراه أحد!، إذًا كيف حَدث كُل هذا؟!، كيف إحترقت الشركة؟!، كيف قابله؟! كيف رآه؟!
كُلها أسئلة تحوم فى عقل (يوسف) كالطير فوق عشه، الخطر الحقيقى الذى يهدده ليس (عباس)، أنما عقله.
شَمّ (يوسف) روائح الحياة التى إفتقدها طيلة أسبوع بإرادته الكاملة، كانت علاقته مع (رشا) متوترة حقًا، يسودها الجفاف، لا يوجد شيء جديد، حتى أنه لا

يُصدر لها عبقًا طيبًا، ففى كُل مرة تُحادثه على الهاتف للإطمئنان عليه، كان يَرد عليه ردًا باردًا، ليس لأنه يكرهها، بل لأنه كَره الحياة بأكملها.

اليوم هو إفتتاح فَرع الشركة الجديد، بعد أربعة شهور من البحث المتواصل والجاد على مكان يليق بإسم الشركة القديمة، يجب عليه أن يَحضره لأنه رئيس الشركة سابقًا ولاحقًا.

إنتقى (يوسف) أفضل مكان عن طريق رسائل تأتيه على هاتفه بها الصور والعناوين، كان يعشق الغموض والخفاء الذى يسود حياته بالكامل، أيضًا يكره بشدة أن يراه أحدًا حزينًا أو باكيًا، فهو يَحب أن يظهر بصلابته وعصبيته الشديدة أمام الجميع، يَكره أن يراه أحدًا ضعيفًا.

دَخل (يوسف) سيارته بعد فراق، قادها صوب إفتتاح الفرع، فى تمام الساعة الثالثة عصرًا كان واقفًا أمام الفرع، تنهال عليه التحيات والسلامات من جميع الجهات، لا يُلاحق أن يُسلم على أحد.

كان مبتسمًا للجميع، فَرحت (رشا) لرؤية حبيبها فَرحًا مثلها، بل من الممكن أن يكون أكثر منها قليلاً، لم يَكن سعيدًا بداخله، بل كان عاديًا، لا مُباليًا لأى شيء، ما يهمه أمرًا واحدًا، أن ينته كُل هذا ويذهب لبيته كى ينام.

أتى موعد إلقاء الخطاب بداخل الشركة، أتت الصحف والجرائد تلتقط له بعض الصور، فهو رجل أعمال معروف، له أسم وسيط فى المجتمع المصرى، صعد على المنصة بخطوات واثقة، وَقف أمام مئات الأشخاص يدعو خطبته الإرتجالية، فتحدث:

- أُرحب بكم فى شركة (الحسين) للإستيراد والتصدير، فى الفرع الأول الذى بناه أبي – رحمه الله - ، تعلمت فيه أشياء كثيرة عن الإستيراد والتصدير، تَعلمت وَعلمت، فيأتى بعد خمسة عشر من التقدم والإنجاز شخص قذر يحرق الفرع

الرئيسى للشركة التى بناها والدي بطفح الدماء.
لوحظ الإنفعال على وجهه، فبدأ يهدء من نفسه قليلاً، فأستطرد حديثه بعدما خطف أنظار المستمعين:
- (الحسين) ليست مُجرد شركة، بل هى أكثر من ذلك بكثير، فالشركة أخرجت الكثير من الناس المتمكنين فى عملهم حتى الأن، بعضهم لازال فى الشركة والبعض الأخر وَجد نفسه فى مكان أخر، لا أود أن أطيل عليكم، لكنى أود أن أخبركم وأعلمكم تمام العلم أن شركة (الحسين) مُستمرة مهما حَدث، ستظل تفتح فروعها فى جميع أنحاء محافظات مصر.
صفق الحاضرين كُلهم، بل وبعض منهم وَقف إحترامًا للشاب المُخضرم العالم بكُل شيء فى مجاله، إنحنى لهم بإحترام شديد وعلى وجهه إبتسامة كبيرة، نَظر إلى الصف الاول من الجالسين وَجد (رشا) واقفة تُصفق حتى تَدفق الدم بيديها سريعًا، حَدق بوجهها الملائكى، فتصرفت (رشا) بطفولة ووضعت إصبعيها بفمها وأطلقت صافرة، ضَحك فضحكت معه، شعر بعودة روحه إلى مكانها الصحيح، لكن فرحته لم تَدم طويلاً، فعندما نَظر إلى الصفوف الأخيرة، وَجد شخصًا ما مُرتديًا رقعة سوداء على عينه اليُسرى، وجهًا يعرفه جيدًا، توقفت ملامح (يوسف) بغتة عندما رآه، ترك التصفيق والتهنيئات، نَزل فورًا من المنصة، رَكض ناحية الرجل، نَظر (يوسف) له فوجده هو!
لم يُصدق (يوسف) ما تراه عيناه، إقترب من الرجل بشدة حتى وَضع يده على كتفه، لم يكن هو (عباس)!، كان شبيهًا له، يَرتدى رقعة فعلاً.. لكن ليس هو، وقف التصفيق هنيهة، لا يفهم أحد ما جَرى، إنتقلت الكاميرات نَحو وجهه تُصوره، عاد الخوف يَرتكبه، فنظرت (رشا) له برعب حقيقى، وَضع يده على عينه كى لا تصله فلاشات الكاميرا، إقتربت (رشا) منهم وأبعدت الكثير منهم، إقتربت

من (يوسف) وجميع الحاضرون ينظرون إليهم فى صمت تام، قال لها مُتمتمًا:
- أريد الذهاب.. حالاً.
أومأت برأسها مُتعجلة، أشارت بيدها فوقف أمامهما شخصين من أمن الفرع، أوصلوا (يوسف) إلى مكتبه الجديد، أما هى فلقد صعدت على المنصة، مُحاولة إلمام شتات الأمور، تحدثت:
- الأستاذ (يوسف) كان مُريضًا منذ عدة أيام وأتى اليوم بصعوبة بالغة، نعتذر عما حَدث الأن بالنيابة عَنه..
سَمع (يوسف) ذلك الكلام فأطمأن قلبه قليلاً، وَصل إلى مكتبه الجديد، كان فائق الروعة والجمال، به تلفاز، هاتفين أرضيين، يَطل على النيل مُباشرة، يالها من روعة.
جَلس على الأريكة مُمدًا، رأى الشركة خالية من البشر أمامه، فكانوا جميعًا بالقاعة، سَمع صوت (رشا) تُعرف نفسها، شعر بالسعادة تَملؤ جفونه، فسمع صوت هاتف المكتب يَرن.
كان يعرف أن لهذا الإتصال فى ذلك الوقت مغزى كبير، يبدو أن ذلك الفرع سيكون نظير شؤمًا عليه، يبست أطرافه وزادت ريبته عندما سمع الصوت، قرر الرد على الهاتف، نَهض من مكانه، رَفع السماعة، وَضعها على أذنه، تَحدث بتوتر وخوف جليّين:
- ألو؟!
إبتلع ريقه ووسعت حدقتا عيناه، فسمع صوتٍ يعرفه:
- لا تثق فيمن حولك، إنهم دومًا يخدعونك لا محالة.

* * * * *

لم تكن السماء صافية كسائر الأيام، بل كُنت أرى الكثير من السحب تتهافت

إليها، الأمطار تتساقط بهدوء، وَضعت الظرف بجيبى دون أن أتطلع لمعرفته، أظن أن بداخله شيئًا أحتاجه بشدة، لكنى لا أود الظن.

عدت أدراجى للبيت، دَفعت باب العمارة بقوة فأنفتح بين يدى، دَخلت إلى مدخل العمارة ولم أنتظر حتى أصعد للأعلى، أخرجت الظرف من جيبى، مَزقت الغلاف الخارجى بهدوء من ثم أخرجت ما بداخله.

توقفت الكلمات بحلقى، إندهشت وشعرت بالراحة تنبعث فى قلبى كإنبعاث النبات من الأرض الخصبة، إبتسمت بشدة عندما رأيت رزمة من النقود بين يدي، كُل ورقة بها مئتين جُنيه، أظن أن هذا المبلغ هو عشرة ألاف جنيه.. لم أصدق نفسى ولم أصدق أن (عباس) فعل هذا لأجلى وقد عرف بأمر النقود.

لا يهم كيف عرف الأن، بل يهم أن أصعد لأعلى وأخبر زوجتى بما حدث، لكن.. كيف سأخبرها؟، هل سأقول لها أنى وجدت ذلك المال فى الشارع أم ماذا؟! يجب أن أتدبر الأمر بفطنٍ شديد كى لا تفهم زوجتى الأمر.

صعدت إلى أعلى راجيًا من الله، طرقت الباب على غير عادة، إنتظرت هنيهة كى تُفتح الأبواب على مصراعيها، السعادة تَغمرنى بشدة، قد ذهبت الديون إلى الجحيم، بل وسيتبقى لي مبلغًا من المال، أنا وزوجتى.

فَتحت زوجتى الباب، رأيت بقايا دموع ذُرفت على وجنتيها، إبتسمت لها بعدما عَرفت لِمَ تبكى، دَخلت إلى البيت مُبتسمًا، تعجبت منى وسألتنى:

- هل وجدت عَمل؟!

هززت رأسى نافيًا، فقلت لها:

- وَجدت شيئًا خيرًا من العمل.

وَجدت الإبتسامة تَشق طريقها لـ(نور)، فقلت لها:

- نعم..

وأخرجت رزمة الأموال من جيبى وقذفتها إليها، أمسكتها بلهفة وشوق، إستسرت بشدة فسعدت لذلك، فقالت لي كطفلة إبتاعت لعبة تحبها:

- لا ديون الأن..

ضحكنا سويًا، لسوء حظى، لم أرمى الظرف بعيدًا، كان هُناك شيئًا بداخله.

خشيت فتحه، وَضعت زوجتى يدها على يديّ فى حنان بالغ، قَبلت رأسى ووضعت يدها الحانية لإحتواءها، لم أستطع أن أخبرها بمدى حُبى لها فى تلك اللحظة، أنا فى عالم آخر الأن مليء بالغوامض، فقلت لها:

- إذهبى أنتِ للنوم فلقد تأخر الوقت، أما أنا فسأجلس أفكر قليلاً.

أومأت برأسها، نهضت من مكانها وإنطلقت صوب الغرفة، جَلست وَحدى أتدبر الأمور بقلق بالغ، أمسكت الورقة المطوية بداخل الظرف، لم أكن أعرف ما الذى سأفعله، هل سأفتح الورقة أم أتركها وشأنها؟!

تَركت الورقة فى الصالة دون أن يفتحها أحد، ذهبت بجوار زوجتى.. وأنطلقت نَحو الميتة الصغرى.

* * * * *

قرر (يوسف) البحث..

تَخلى عن مخاوفه، عَرف أنه لن يستطع التركيز فى عمله أو أشغاله إلا وهو يقتل ذلك الشبح قتلاً شنيعًا، يُمزق جثته ويعلقها فى إحدى الجبال العالية ليراها الجميع.

بدأ يسأل نفسه، إذًا هو ليس بشرى.. فبالتأكيد هو شبح، شيطان، جن، لكن لِمَ يفعل الشيطان تلك الأفعال به؟!

بدأ يسأل الكثير عن شخص يُحضر الأرواح ويصرفها، يُريد أن يصرف تلك الروح اللعينة عنه، أدله الكثير على شخص ما أسمه (الشيخ جلال الدين)، يَقطن فى

بناية كاملة بأسمه، رجلاً صالحًا، لم يقول أبدًا أنه يعمل بالسحر، بل هو فقط يُخرج الجن من الأشخاص الملبوسين به، لكن (يوسف) كان على إعتقاد أن هذا الشيخ ما هو إلا نصاب آخر يراه فى الأفلام، الشيخ (جلال) هو المفتاح لحل الألغاز.

وَصل (يوسف) عندما خاط الليل بالنهار كاملاً يُفكر فى تلك الأمور، توقف أمام البناية وعيناه قُربت على الإنغلاق وحدهما، لم ينم طيلة اليومين الفائتين.

أنفاسه حَارة، تَخرج فى بُطء شديد، فلا تجد لـ(يوسف) بُدًا كلما إنقطعت سُبل السعادة للوصول إليه، دَخل البناية، فلقد عَرف أن هذا الرجل يَجلس فى سطح البناية، عنده مُساعدين وحَجز بالإسم والرقم للدخول.

شعر برئتاه تَجفو عندما وَصل إلى سطح البناية، كيف لبناية طويلة مثل تلك لا يوجد بها مصعد؟، أخذ يتنفس بسرعة قاسية، حتى بدأ يستعيد قُدرته على المشي مُجددًا، عندما دَخل إلى السطح، كان مُغلقًا من الاعلى بالكامل، حيث لا ترى نور الشمس ولا ضوء الليل، كأنك بداخل إحدى الغرف المغلقة عليك من شتى الجوانب.

رأى مساعد كهلاً جالسًا على طاولة، أمامه التلفاز مَفتوحًا على محطة القرآن الكريم، كان المساعد يَخط بقلمه بعض الكلمات التى لا يراها (يوسف).

كان هُناك بعض المقاعد بداخل السطح، فعندما يُريد أحدهم الولوج إلى الشيخ بإمكانه الإنتظار بضعة دقائق هُنا، دَخل (يوسف) بتوتر إلى الرجل الجالس على الطاولة:

- السلام عليكم ورحمة الله.

لم يَنطق (يوسف) بتلك الجملة مُنذ زمنٍ بعيد، نَظر له المساعد وشعت إمارات الدهشة بوجهه، قبل أن يَرد السلام تَكلم:

- الأستاذ (يوسف حسين) رجل الأعمال المعروف؟!

وَخزته السعادة، لقد وَصل سيطه إلى ذلك المكان المنغلق!، أومأ برأسه، نهض المساعد وصافح (يوسف) بحرارة، تكلم المساعد:

- أرجو ان تكون بخير حال، فالذين يأتون إلى هُنا هم المَرضى والملبوسين حفظك الله.

تكلم (يوسف) بثقة:

- أنا أود أن أرى الشيخ (جلال) بأسرع وقت.

إنبسط الرجل، فرفع سماعة الهاتف وقال:

- - شيخنا، أمامي الأن السيد (يوسف حسين) صاحب شركة الحسين، يريد الدخول إليك سريعًا.. تمام-

وَضع السماعة، لم يَكن يتصور أبدًا ان يكون المكان هكذا، إن الأفلام تُشوه صورتنا للحقيقة، حَقًا!

خَرج المساعد من مكتبه وتَقدم، أخبر (يوسف) أن يتبعه، إتبعه مُترددًا وهو يَرى تلك الصور المعلقة على الحائط، آيات قرآنية لا يعرف عنها شيئًا، مسبحة، فَتح المساعد بابًا فدخل منه ودخل وراءه (يوسف)، عندما دخل.. تركه المساعد وَحده، سأل نفسه بتردد، أهذه هى غرفة الشيخ (جلال)؟!

أين تلك النيران المشتعلة فى كُل مكان؟!، أين المقاعد الغير مريحة والأضواء الحمراء التى تُشعل المكان؟!، لقد كان مكتبًا عاديًا جدًا، به بعض المقاعد، آيات قرآنية فى كُل مكان بالغرفة، ضوءًا أبيضًا، لم يُصدق (يوسف) ما رآه، فسرعان ما سمع صوت وقور يُناجيه من مكان ما:

- تفضل يا أستاذ (يوسف).

إستدار (يوسف) فرأى رجلاً صالحًا، وجهه يشع نورًا، التقوى والإيمان فى أسمى

معانيهما بداخل وجه الشيخ، يرتدى حُلة رصاصية اللون ونظارة طبية، لحيته وشعره لونهما أبيض تمامًا كالسحب التى تغزو السماء، نَهض عندما رأى (يوسف) ليُصافحه، كان الشيخ مُبتسمًا، نَظرته لـ(يوسف) أثيرت الراحة بداخله، فإبتسم (يوسف) له بصدر رحب وجَلس أمامه:

- إذًا.. بِمَ تشتكى يا سيد (يوسف)؟!

أخذ نَفسًا طويلاً، فسأله:

- فى البداية، تَعدنى أن هذا الحديث لن يعرفه ثالثًا!

إبتسم الشيخ (جلال)، وقال له:

- أعدك.

هُنا، شعر بشيء ما يقول له- لا تقصص عليه شيء- ، لكنه أبى، فتكلم بثقة:

- مُنذ فترة بعيدة، سنة وبضعة أشهر، واتتنى مكالمة من شخص يُدعى (عباس)، ذلك الشخص كان يود أن يعمل معى ويفيدنى بخبراته، بالمناسبة، على حد قوله، كان تلميذًا نجيبًا لوالدى رحمه الله، كان يعمل معه، المشكلة يا شيخ ليست هُنا، بل المشكلة أن (عباس) هذا كان يعرف عنى كُل شيء.. كُل شيء حرفيًا، يعرف من أحب، من أكره، ما هى طبيعة عملي، كُلها أشياء لا يستطيع أحد معرفتها أبدًا غيرى، لأنها أسرار، وكما تعلم يا شيخ فالعمل أسرار.

كانت ملامح الجدية على وجه الشيخ، فأستطرد (يوسف):

- بعدما خَرجت من شقته، ذهبت إلى سيارتى، فوجدت جُملة كُتبت بالدماء على الزجاج، كانت جملة قالها لي هو بنفسه - أنا معك دومًا يا صديقى الصغير- ، شعرت بالهلع وعُدت إلى شقته، كانت الشقة خالية من السكان ومعروضة للإيجار منذ ستة أشهر!

لم يَتعجب الشيخ، بالتأكيد فهو رأى أسوأ من هذا بكثير:

- عُدت للسكرتيرة الخاصة بي كى أُحادث رقم (عباس) مُجددًا، أخبرتنى أنه لا يوجد أحد حَدثنى طيلة أمس بذلك الإسم، سألتها كيف وأنا ذهبت لرؤيته، قالت لى أنى لم أخرج من المكتب نهائيًا البارحة!، صُدمت وظللت أكسر كُل شيء من حولى، شعرت بالجنون، كُنت أراه فى أحلامى، بداخل كوابيسى، حتى خطفونى ووضعونى بداخل مشفى للأمراض العصبية والعقلية لمدة عام كامل.

شَرب (يوسف) من الماء الموجود أمامه، وَضعها مرة أخرى على الطاولة، فأردف:

- عندما خرجت، كُنت أظن أنه كان كابوسًا ثقيلاً وقد إنتهى، لكنه لم ينتهى، عرفت أن طوال تلك المدة لم يختفى شيئًا، بل كان ينتظرنى عندما أخرج من ذلك المكان ليكمل خطته، أصبحت وأمسى خائفًا من ذلك الرجل، وفى يوم آتنى هاتف منه، يخبرنى أن أقابله فى منطقة ما، عندما قابلته وجدت رقعة عينه البيضاء فى الشارع، وفى مرة أخرى، وَجدت ورقة بداخل المكتب، عندما قرأتها وبعد مرور يومًا كاملاً، إحترقت شركتى بالكامل، ومر أربع شهور على تلك الحادثة..

لم ينبس الشيخ ببنت شفة، فأردف (يوسف) أهم جُزء:

- إنه يحوطنى من جميع الأماكن، يعرف ما هى وجهتى وينتظرنى هُناك، يسبقنى بخطوة دومًا، يجعلنى أتألم دون المساس لجزء منى، هو يعلم كُل شيء عنى، يقتلنى بنعومة وهدوء، دون أن يريق الدماء..

إبتسم إليّ الشيخ، فقال:

- قبل أن أقول لك أى شيء.. أظن أن هُناك خبر لم تكن تعرفه من قبل.

صَمت (يوسف) مُنتظرًا ما سيسمعه، صاغ أذنه، فتكلم الشيخ (جلال) بثقة:

- لست وَحدك من يَرى (عباس) هذا. . هُناك شخص ما يراه ويعرفه جيدًا مثلك تمامًا بإختلاف بعض التفاصيل.

* * * * *

كان الخطاب عجيبًا، فلأول مرة لا يوجد جملة أو إقتباس، بل كان عُنوانًا لإحدى البنايات.

لم أستطع النوم ليلتها، بل كُنت أفكر، أغمض عيناى مُحاولاً النوم لكنى لم أستطع، كان الأرق يتملكنى، فى تمام العاشرة صباحًا نهضت من سريرى لأفتح الورقة، ووجدت بداخلها العنوان.

إنه يريدنى أن أذهب لتلك البناية فى أسرع وقت ولا أعلم السبب، هل من الممكن أن تقودنى تلك البناية إلى دليل قوى يجعلنى أعلم ما حولى؟!، أتمنى ذلك.

إرتديت ملابسى بلهفة، نَزلت إلى الشارع دون أن تعلم زوجتى، خرجت على ناصية الشارع وأخذت وسيلة المواصلات المعتادة لكى تقلنى إلى تلك البناية.

غَفوت لدقائق أثناء جلوسى، أتذكر ما حدث مُسرعًا كفيلم سينمائى يُعرض فى السينمات يشاهده أفواج من البشر، أتذكر المرة الأولى التى رأيت فيها (عباس)، أتذكر الخطاب الأولي، أتذكر زواجى، وفاة عمي، مقتل أبى فى حادث، كُلها ذكريات مَرت عليّ كمطرٍ مُنهمر.

تَوقفت الحافلة فى المنطقة، نَزلت منها ودَفعت الأجرة التى كانت جنيه ونص، خَرجت من الحافلة واقفًا فى أرض غريبة لا أعرف عنها شيئًا.

سألت بعض الناس الموجودين فى الشارع عن البناية، كُنت أقول لهم - بناية الشيخ جلال الدين- لم يكونوا يعرفونها، فسألت أحدهم عن البناية رقم ٢٢٤ فى الشارع فقالوا لى أين تقع.

ذهبت إلى البناية، دَخلت وصعدت على الدرج، نَظرت على الورقة مرة أخرى فعرفت أنه يقطن بالسطح، الحمد لله على النعمة التى أعطاها الله لي، هُناك بشرًا يقطنون فى الشوارع والأسطح وأنا أقطن مع زوجتى بشقة مُغلقة الوجهات.

صعدت إلى السطح، فوجدت شيئًا غريبًا، كانت هناك طاولة، بعض المقاعد،

السطح مُغلق تمامًا، هُناك سقف وحوائط من الحديد، وكأنى لست فى سطحًا بل شقة، كانت حديثة البناء تمامًا وكأنها بُنيت منذ ساعات فقط.

لم أكن أعرف ما هذا المكان الذى أنا فيه، لكن بمجرد أن نظرت إلى ذلك الرجل الجالس وحده يُدون شيئًا، وَجدته يتطلع إليّ ويسألنى:

- أأنت الأستاذ (صالح زايد)؟!

إستغربت قليلاً، هل هذا الرجل يعرفنى؟!، أومأت برأسى فى تردد، فوجدته ينهض من مكانه مبتسمًا، يتجه نحو باب فى السطح، فَتح الباب وقال لي بوجهٍ بشوش:

- تَفضل.. فالشيخ (جلال) فى إنتظارك.

دَخلت من الباب، وَجدت الكثير من الآيات القرآنية المعلقة والمسابح، رَجلاً صالحًا جالسًا على طاولة مُرتديًا حُلة سمراء، لحية بيضاء طويلة على وجهه الأبيض.

نهض من مكانه، سَمعت دويّ غلق الباب من خلفى، إنتفضت إثر الصوت، وَجدت أسنانه تَظهر فى بشاشة واضحة، إقتربت منه وصافحته، كانت الريبة تَدخل أعماق كالأنفس، فسألت ذلك الرجل الصالح:

- من أنت؟!.. ولِمَ أتتنى تلك الرسالة التى بها عنوانك؟!

إبتسم الرجل، وَجدته يَرفع سماعة الهاتف ويسألنى ما الذى أريد شرابه، قُلت له كوب من الشاى، تحدث فى الهاتف وقال للرجل كوب من الشاى وليمون، وَضع السماعة، فوجدته يَضع يديه ويشبكهما ببعض على الطاولة، ويتحدث بوقار:

- أنا شخصًا أدعى (جلال الدين)، أساعد بعض الناس الملبوسين من الجان حفظك الله فى خروج الجان من جسدهم بسلام، ما الذى جعلك تأتى هنا، أنا حقًا لا أعرف، لكن الذى أعرفه جيدًا أن هُناك شخص أتصل بنا فى الصباح وأخبرنا بأن هناك من يُدعى (صالح زايد) سيأتى إلى هنا اليوم، ويجب أن نستقبله أحسن

إستقبال.
تَعجبت من تلك الكلمات، لم يَكن سببًا واضحًا لإتيانى إلى هُنا، لكنى سألته:
- إذًا، أنت ليس لديك أدنى فكرة عما أكون، ولِمَ حتى أتيت إلى هُنا؟!
أومأ برأسه، فإذا بالمساعد يأتى ومعه كوب من الشاى وكوب من الليمون، وضعهما على الطاولة وإنطلق عائدًا مرة أخرى، سمعت صوت الشيخ يقول لى:
- أريد أن أسمع منك القصة يا بُنى، أعلم أن هُناك شيء ما وراءك، وشيئًا ليس بالصغير أبدًا.
وَجم وَجهى سريعًا، ترددت، شعرت بالريبة، لكن لا شيء سأخسره!، ماذا لو كان (عباس) شيطانًا؟!، أتمنى أن لا يكون كذلك، فبالتأكيد القوى غير متوافقة إطلاقًا، شعرت بعبقٍ جميل ورائع يفوح فى المكان، شعرت بتنفسى للسعادة بمجرد أن شمّيت هذا العطر الجميل، كان عطرًا مريحًا للأعصاب، إبتسمت للشيخ وحكيت له على كُل شيء..
- عندما رأيت ذلك الشيطان لم أرتاح له قط، كان شخصًا عجيبًا يتصرف بطرق غير طبيعية، كان مَنظره يحوى بأنه ليس طبيعيًا وليس كسائر البشر، عندما حَكى له حكايته تلك عن (كيف فُقأت عينه) لم أستطع تصديقها، كانت غير واقعية بالمرة، عندما إختفى من حياتى للأبد بعد كتابته خطاب غريب لي، كان الأمر عاديًا، كأنى كُنت فى كابوس وأستيقظت منه، لكن هل للكابوس أن يكون له توابع حقيقية؟!، كيف وَجدت ذلك الكمبيوتر الذى إشتراه لي ولا أعلم لِمَ أشتراه حتى الأن، لا يهم، كثيرًا ما إنتظرت أن يظهر ذلك الشيطان مُجددًا لكنه لم يظهر، كان دومًا يظهر لجزء من الثانية ثم يختفى، أراه فى كُل مكان، رأيته فى ليلة زفافى، فى شقتى، عندما فقدت الوعى، آراه فى أحلامى وكوابيسى، لم يَترك مكانًا أذهب إليه إلا ووضع به بصمته الخاصة.

تَوقفت عن الحَكى قليلاً، شعرت بجفاف فى ريقى، أخذت كوب الشاى وتَجرعت منه قليلاً، إستطردت:

- كان يُرسل إليّ جوابات وخطابات بطرق مختلفة، وعندما أرسل إليّ خطابًا فى المرة الثانية، إنفجرت حافلتى التى أعمل بها وأكسب منها لقمة العيش، شعرت بالألم وزوجتى أيضًا، إقترضت الكثير من الناس فى شارعنا كي أستطيع إطعام زوجتى، حوالى خمسة الاف جنيه فى أربعة أشهر، والبارحة فقط، وَجدت سيدة، نفس السيدة التى جلبت لى الخطاب الثانى، الذى بسببه إحترقت حافلتى، كانت فى الطريق وغشيت عليها، وَجدت نفسى أذهب إليها واسندها وأضعها بداخل أول سيارة أجرة أراها، وعندما نظرت على وجه السائق، كان هو.. (عباس).

وَضع الشيخ يده على ذقنه وأخذ يلعب فيها، عاقدًا حاجبيه، لكنه لم يتخلى عن إبتسامته، كان هادئًا ووقورًا، قال لى:

- هل تذكر أى شيء إقترفته له علاقة بالجان؟!

إختطفت الجملة مسامعى، أنكرت تمامًا، ففكر مُجددًا، وأخبرنى:

- أستاذ (صالح)، من الممكن أن تأتى لي غدًا الساعة الثامنة مساءًا بإذن الله، ووقتها، سنبدأ العمل الجدى إن شاء الرحمن.

أومأت برأسى فنهضت من المقعد، صافحته، ثم أنطلقت عائدًا، مُنتظرًا الغد، كإنتظار النبات للمياه التى تسقيها، فى أشد الأيام توهجًا للشمس.

* * * * *

إكتست الغرفة بالصمت، إبتلعت الأنفس وصَدّرت بدلاً منها خوفًا وهلعًا، لم يستوعب تلك الجملة التى قالها الشيخ له، هُناك أحد يرى (عباس) مثله!

إتسعت حدقتا عيناه، فسأل الشيخ:

- هل تَمزح يا شيخ؟! هل هُناك أحد يرى (عباس) غيرى؟!

ضَحك الشيخ دون أن يُبرز أسنانه، فقال لـ(يوسف):
- نعم.. وهو تقريبًا سيأتى فى حلول..
نَظر الشيخ فى ساعته وَجدها تُشير إلى الثامنة مساءًا فعرف أن موعده قد حان:
- الأن.
صَمت طويلاً فى إنتظار أن يطرق أحدهم الباب ليخبرهم بقدومه، ظل (يوسف) مُحدقًا فى وجه الشيخ، فى الأرض، فى سقف الغرفة، كانت الصدمة تجتاحه بشدة، عَرف أن ذلك الشيطان لا يُحاربه وحده، بل يُحارب شخصًا معه وبالتأكيد يعانى نفس معاناته.
رَددت الغرفة صوت الطرق على الباب، نَهض الشيخ من مكانه فى إنتظار قدوم ذلك الشخص، دَخل مساعد الشيخ ومعه شخص ما، لحيته طويلة فى أشد درجات السواد، وَجهه مليء بالكثير من الإرهاق والتعب اللذان يظهران جليّان على وجهه، كانت ملامحه تَدل على الطيبة، الطيبة الشديدة، كان ينظر فى الأرض بخجل وعدم فهم، كان مُتخبطًا، شاردًا، هائمًا، لا تعرف له إنطباع، لكن شعره الغير طويل، وجهه الشاحب والنحيف، عيناه المحملتان بحُزن وغضب كبيرين، كُلها إنطلت من شخص واحد، لا يعرف أسمه.
كأنه يخيط الليل بالنهار مثله، ساهرًا مُتأملاً الآمه وقلقه، يُريد أن يعرف من هو (عباس) مثله، دَخل الرجل بخطوات غير واثقة تمامًا إلى المكان، صافحه الشيخ (جلال) وأتجه معه نَحو المكتب، كان (يوسف) جالسًا، ظمئًا للفهم، مُتعطشًا للإنتقام، لكنه لم يتحدث ولم يُصافح الرجل، تكلم الشيخ (جلال) فى ثقة:
- أُرحب بك يا (صالح) فى مجلسنا.

* * * * *

- أُرحب بك يا (صالح) فى مجلسنا، أودك الأن أن تعلم شيئًا هامًا، هذا الشخص

الذى يجلس فى قبالتك أسمه (يوسف حسين)، الأستاذ (يوسف) يرى (عباس) مثلك تمامًا بإختلاف بعض التفاصيل، تأتيه خطابات وجوابات مثلك تمامًا، لا شيء يتغير إلا الأضرار فقط، فلما إحترقت حافلتك، إحترقت شركته كاملةً، هُناك أشياء أخرى سنحاول منع حدوثها عندما أتحدث معكم.. لكنك أمس حكيت لي القصة ولم تحكى تفاصيلها، وانت تعلم فالشيطان يُكمن فى التفاصيل، أُريدك أن تحكى كُل شيء حدث معك مُنذ بداية رؤيتك لـ(عباس) حتى وصلت إلى هُنا.. . وبإذن الله سنحاول التصدي لهذه القوى التى لا نعرف ماهيتها وما كينونتها. إبتلعت ريقى فى تلعثم، إختلست بعض النظرات إلى ذلك الرجل الذى يُدعى (يوسف)، وحَكيت كُل شيء.. إلى أن وطأت قدماى هذا المكان.

* * * * *

# الفصل السادس

إنتهى (صالح) من سَرد حكايته على (يوسف) و(جلال)، كانا مُبديان إهتمامهما الشديد لتلك القصة، حاول (يوسف) أن يُفرق بين حكايته وحكاية (صالح) فكانت الإختلافات واهية.

كان (صالح) مَصدومًا، يُحاول أن يفهم ما الذى يَجرى وكيف وَصل هذا الرجل إلى هُنا!، بدأ (يوسف) يتأمل المكان من حَوله، فقال للشيخ:

- إذًا يا شيخ (جلال)، (صالح) يقول أن هُناك شخص ما حَدثك على الهاتف ليخبرك أنه قادم، صحيح؟!

إعتدل الشيخ فى جلسته وقال:

- صحيح يا بُني.

تَقدم (يوسف) وقال بتلهف:

- إذًا هل من الممكن أن تجلب لنا ذلك الرقم كى نتصل به ونتأكد من وجوده؟! فلو كان موجودًا فبنسبة كبيرة جدًا سيكون هو (عباس).

أومأ الشيخ برأسه، خَرج من الغرفة، فأخذ (يوسف) يَنظر بين فنية وأخرى إلى

(صالح) الجالس بهدوء، تَحدث (يوسف):

- هل أنت بخير؟!

نَظر (صالح) له فى توتر مُبين، فقال بعينين مخضلتان من التعب:

- الإجابة على هذا السؤال صعبةً للغاية يا سيد (يوسف)، أنا لا أعرف شيئًا، لا أعرف لِمَ وَرطت نفسى وأدخلت نفسى فى متاهة لا أعرف كيف سأخرج منها، ماذا لو لم يمت أبى من الأساس!، ماذا لو لم أرى (عباس) منذ البداية؟!، على الأقل كُنت سأستطيع الجواب على سؤالك هذا وأخبرك أنى بخير حال.

أصمت تلك الإجابة قلب (يوسف)، فصمت تمامًا شاعرًا بالخجل ناحيته، دَخل الشيخ من الباب مُجددًا حاملاً ورقة صغيرة فى يده، قال لهما:

- هذا هو الرقم.

مَد الشيخ الورقة إليهما، أمسكها (يوسف) بقلق وأخرج هاتفه المُطور، وَضع الرقم بداخل الهاتف وأتصل، كانت الإجابة المعتادة:- هذا الرقم غير موجود بالخدمة.. من فضلك تأكد من سلامة الرقم المطلوب- ..

جَلس الشيخ وهو يَهز رأسه ويَلو شفتيه، فقال لهما:

- بإمكاننا الأن التحدث فى الأمر بشكل أوسع.

أومأ كلاهما برأسيهما، فتَحدث الشيخ على تلك الأضواء الخافتة:

- يبدو وأنكما تشعران بالقلق، لا داع، كُل شيء على ما يرام.. فى البداية وقبل أن نبدأ، سنعتبر إعتبارًا صغيرًا، لو كان هذا جنيًا، فبرأيكما، لِمَ يفعل هذا؟!

نَظر لبعضهما فى تعجب، لم يستطيعا الإجابة على ذلك السؤال، فأردف الشيخ:

- حَسنًا، هُناك حالتين، الحالة الاولى – وهى مستبعدة – أنكما فعلمتا شيئًا أحمقًا، أقحمكما إلى العالم الأخر دون أن تدروا، فبذلك التصرف الأحمق خَرج ماردًا للإنتقام منكما، ولا يبد هذا سببًا مُقنعًا.

نَهض الشيخ من مكانه وهو يتكلم، أخذ يتجول فى المكان، فأستطرد:
- الحالة الثانية، أن أجدادكم أو أحدًا من نفس دماؤكم قد حَضر جنيًا عن طريق الخطأ، فمات الجد والأب ولم يتبق سواكم، ويبدو وبنسبة كبيرة أنكم متصلين فى شيء ما سواء أموال أو دماء أو عائلة، لكن هُناك ما يربطكما بشيء أو بآخر، وهذا ما أرجحه بشدة.
جَلس الشيخ مُجددًا على المقعد، فبادر:
- لو كان هذا شيطانًا، فأحب أن أحذركم أن ما ترونه هو أخطر شيطان فى قبائل الشياطين كُلها، لا يوجد شيطان يستطيع التحكم فى شيء من حولك مثل المردة، إنهم أخطر الشياطين، يستطيعون تدميرك بالكامل دون أن يظهرون لك إلا مرة أو إثنتين على الأكثر، الجن لا يعرف الرحمة حَرفيًا وخصيصًا لو كان كافرًا، فكما تعلمون الجن قبائل، منهم المسلمون مثلنا يصلون مثلنا ويسبحون بحمد الله مثلنا، ومنهم النصارى ومنهم اليهود، ومنهم الكفرة، والأخيرة هذه أشد الأنواع خطرًا وشراسة.
شعرا بالخوف يلتهمهما كشطيرة لذيذة، فأستطرد الشيخ:
- لو كان شيطانًا، فيجب عليّ أن أطرده من داخلكما فى أسرع وقت، سنتأكد من هذا فى أقرب فرصة، قبل أن يكون (عباس) أو الشيطان ذاته فى الخارج يلهو ويلعب، فهو فى عقولكم وأجسادكم، يتلاعب بكُل شيء بداخلكما.
نَظر الشيخ إلى الأرض، وقال بشيء من الحُزن:
- وأحب أن أحذركم أن الشياطين تنتقم بطرق مختلفة، وأظن أنه سينتقم منكما عندما تسنح له الفرصة، وسينتقم بطريقة أنا نفسى لا أستطيع توقعها.
نَهض الشيخ (جلال) من مجلسه، فنهضا وصافحاه، فأخبرهما بثقة:
- سأنتظركما غدًا فى نفس الموعد إن شاء الله، لنبدأ جلسة التحضير، فليكن فى

علمكما لآخر لحظة أن من ترونه هذا ليس ببشري.. إنه شيطان.

* * * * *

المصائب لا تأتى فرادى أبدًا.. لكن وبالرغم من هذا.. كان (يوسف) سعيدًا أن البلاء لم يصعقه وحده، بل كان هُناك رجلاً آخر.

يعانى من نفس معاناته ومن الممكن أن تكون معاناة أكبر، شعر وأنه لن يكون وَحده أبدًا، بل سيكون هُناك شخصًا معه، يُساعده فى المصائب ويهون عليه حجم الكارثة.

على العكس كان (صالح)، مُتشائمًا، خائفًا، ليس على نفسه بل على زوجته، مُنفعلاً، لا يعلم ما سبب هذا، لم يَكن يتوقع أبدًا أن هُناك شخصًا آخرًا يظهر له الشيطان، لم تكمن المشكلة فى - لماذا يظهر لهم عباس؟- ، بل - لماذا يفعل بهم هكذا؟- ، لم يكن هُناك طريقة لفهم شيء.. بل وكأن (عباس) يود أن يسمع آهاتهم، صرخاتهم.

وَصل (يوسف) ومعه (صالح) إلى شارع بيت الأخير، فنَظر (يوسف) إلى وجه (صالح) بقلق، ثم بادر:

- لِمَ يحدث كُل هذا يا (صالح)؟!

كان (صالحًا) قلقًا من هذا الشخص الغريب الذى لا يعلم عنه شيء، فنظر (صالح) له، وأردف:

- لو كُنت أعلم لِمَ ذهبت لذاك الرجل.

بعد صمت إكتسى السيارة، ظل (يوسف) يُفكر فيما الذى سيحدث بعد دقائق، خَرج (صالح) من السيارة قاتم الوجه، شريد اللب، فى أثناء بعده عن السيارة بعدة خطوات، خَطر بباله سؤال، فعاد أدراجه نحو سيارة (يوسف) التى لم تتحرك من موضعها، وسأله:

- هل سنذهب للشيخ غدًا؟

إبتسم (يوسف)، وقال بتودد:

- ماذا لو لم يكن شيطانًا يا (صالح)؟!

إزدرد ريقًا، فأجاب:

- لا أعلم..ولكننا رأيناه شيطانًا..

أدار (يوسف) مُحرك السيارة، ثم قال بغرور:

- لن نذهب.. لو ذهبنا فهذا يدل على تغاضينا من فكرة أنه بشرى مجنون.

وضع (يوسف) قدمه على دواسة البنزين، فأنطلق بعيدًا عن ناظري (صالح)، سار نَحو بيته واضعًا يديه فى جيوبه، تائهًا شريدًا حائرًا ملتاعًا، سَمع صوت الهواء يَدك الشوارع دَكًا، فَدخل إلى العمارة والبرد على أوجّه.

صَعد على الدرج بهدوء، وَجد قطيعًا من البشر واقفون أمام الشقة، عَقد (صالح) حاجبيه، فأكمل صعوده نَحو الشقة بسلاسة، وَقف أمام الشقة يُحاول الفهم، فرأى الكثير من السيدات يقفون، أعينهم باكية، أصواتهم مُنحبة، يصرخون بإسم زوجته، فظل واقفًا مُحدقًا فى تلك البقعة التى وجد زوجته ملقاة فيها، تحوطها الدماء من كُل جانب كجزيرة فى وسط المياه، إنجرفت دُموعًا واهية من أعين (صالح)، أخذ نَفسًا عميقًا وهو يتصفح أوجه من حوله مَصدومًا.

لم يُصدق ولو لوهلة أن تلك هى زوجته، لكنه لم يستطع أبدًا أن يُكذب عيناه، تَقدم نحوها وهو يشعر بالكئابة تَسود المكان، كان يَسمع أصوات الباكين من خلفه، جَثى على رُكبتيه، وَضع كلتا يديه على وجهها البارد كالثلج، نَظر لها مرارًا وهو يرجوها أن لا تذهب، حاول الأهالى إبعاده عنها لكنه أبى وصاح فيهم، كذلك الشخص الذى تَغمره مياه البحر المالحة، وَيجد امامه قشة، يُحاول التشبث بها، لكنه يعلم أنها لن تنجده.

كان يعرف دومًا أنها ستفارقه، لكنه لم يتوقع أبدًا أن تتركه الأن، إحتضنها وأخذ يَصرخ بكل قوة إلى الأعلى، مُناجيًا السماء، دموعه لا تُفارق عينيه، تَوقف عن الصراخ للحظات وقال لها بإبتسامة:

- أريد أن أنام يا عزيزتى.

وَضع جسدها الهادئ على الأرض كما كان، ثم وَضع رأسه على حجرها الذى لم يَبرد أبدًا، بل كان دافئًا كما كان معتادًا، فأردف بعدما إستراح خُلده وأغمض عينيه:

- أريد أن أنام.

* * * * *

مَضت الليالى كالسواد الحالك فى الصحراء..

وحتى تلك اللحظة،لم يُصدق (صالح) أن زوجته غادرت وتركته وحيدًا، دون شخصًا يعول عليه فى الشدائد، يُهون عليه من المحن، إنقضت الليالى فى بُطء غير طبيعى، كطريق تشقه سلحفاء، ظل (صالح) وَحيدًا، لكن (يوسف) كان واقفًا بجانبه، يُساعده ويُطمئنه ويهون عليه، لكن (صالح) لم يطمئن، ولم يشعر سوى بالوحدة القاتلة.

فى أثناء تلقى العزاء، كان (صالح) واقفًا، يسمع صوت القرآن الكريم يسلك طريقه إلى مرمى أذنيه، يُطمئنه ويبعث الهدوء بين ثناياه المنطوية، كان (يوسف) بجانبه، يتلقى العزاء، لم يَفهم (صالح) لِمَ يفعل ذلك الشخص هذا، حتى أنه لم يراه سوى مرة واحدة، لكن (يوسف) كان يعرف أن تلك المحنة لن تُزال من داخله أبدًا، مهما مر الدهر ودَهس على عليهما.

بعدما إنتهى العزاء، كانا جالسين فى الشقة وحدهما، يسودها الحُزن الشديد، رؤيته لزوجته ملقاة على الأرض والدماء تسودها، كان يجعله يبكى أكثر فأكثر،

لم يَستطع أن يُصدق هذا.

لم يكن فى داخله إلا شيء واحد، الإنتقام من (عباس)، سينتقم منه أشد الإنتقام، سيمزق جُثته وسيحولها إلى تُحفة فنية خالدة، تُذكر بإسمه فى أكثر المتاحف دموية، إنطلق صوت (صالح) يعبر حاجز الصوت:

- لِماذا يفعل كُل هذا؟!

نَظر (يوسف) إلى وجهه الشاحب، جَسده الضارع، فقال فى تؤدة:

- تلك هى المشكلة، أننا لا نعرف.

إبتسم (صالح) رغم دموعه، نَظر إلى تلك البقعة المليئة بالدماء فى شقته، فقال والحزن يغزو قلبه:

- ليتنى كُنت أعرف انها ستموت بتلك السرعة.

ذَرف دمعة من أهداب عينيه، فقال غاضبًا:

- يجب أن نبحث..

ثم نَهض من مكانه، مُزيلاً تلك الدمعة بكفه، نَظر لـ(يوسف) بوجه مُتصلب الملامح، عينان قتلهما الحُزن، فأردف:

- أنا سأبحث عنه حتى ولو لآخر لحظة فى حياتى.. سأريق الدماء كما أراق، سأفعل كُل شيء للوصول إليه، ولن أتوان لحظة عن هذا القرار.. سأنهى كُل شيء فى اليومين المتتاليين، فهل أنت معي؟!

صُدم (يوسف) من تلك اللهجة التى تحدث بها، فأومأ برأسه خائفًا منه، لم يخف (يوسف) من نظرة بشرى قط إلا تلك النظرة، التى كانت تقول الكثير.. أكثر من اللازم.

* * * * *

الشيخ (جلال)..

أول ما خَطر فى بالهم، أن الشيخ (جلال) هو البوابة الأولى للمعرفة، كلمة السر لتلك الأشياء الغامضة.

جَلسوا فى السيارة، عندما أدجى الليل وألتمع قمره، إستهل المطر، جالسين فى هدوء تام، تاركين سماعهم يهفو نحو صوت إرتطام المياه بالأرض، مُنتظرين أية إشارة لخروج الشيخ (جلال) من البناية.

لم يعلموا لِمَ وَقفوا هناك، بإمكان أحدهم أن يصعد إلى الأعلى، لكنهم كانوا خائفين من مواجهة الصعاب مُجددًا.

أثناء مُراقبتهم للمكان، وَجدوا مساعد الشيخ يخرج بهدوء من البناية، إستسر (يوسف) وشعر بالإنجاز، بدأ يَنظر لـ(صالح) الذى كان هائمًا، فنبهه (يوسف) بإشارة، نَظر (صالح) فوجد المساعد يستقل سيارته الغير حديثة إطلاقًا، فتكلم (صالح) بتلهف وشوقٍ:

- إذهب خلفه..

كانت السيارة بعيدة عنهما بقدرٍ كاف، تَحركت سيارة المساعد فتحركت سيارتهما خلفه، خَرجا من الشارع الضيق الى الشارع المُضيء بأضواء مُبهجة، كان المساعد يقود بسرعة عالية لكنه لم يبتعد عنه، كانت علامات التلهف للدماء جارية فى وَجه (صالح)، يَنظر بعينين قاسيتين الغضب نافرًا منهما، كان (يوسف) مُشتاقًا لرؤية (عباس) يترجاهما لكى يبقى حيًا، كان مُتلهفًا بشدة لرؤية دماء (عباس) تنهال على وجهه.

عندما بلغ (يوسف) ذروة القيادة، وَجد المساعد يتوقف فى إحدى جانبي الطريق، نَزل من سيارته فتبعه (صالح) بعدما أخبر صاحبه أن يبق فى السيارة كي يُتابع الأحوال من حوله.

نَزل (صالح) بخفة كى لا يلحظه المُساعد، فى غموض غريب، وَجد المساعد

يدخل إحدى الشوارع الضيقة، دَخل خلفه، نَسيّ الشعور بالخوف، لم يَكن أمامه سوى شيئًا واحدًا، الثأر لزوجته.

كانت حارة مُعدمة من أى شيء له علاقة بالحياة، حارة فقيرة جدًا لا يوجد بها بشر سائرين، فوجد المساعد يَدخل إحدى شقق الحارة، فَدخل (صالح) بعدما إنتظر ثوان كى لا يراه.

شمّ رائحة قذرة، لم يَحفل، صعد على الدرج بهدوء، كان مُظلمًا، مُعتمًا، لا يرى شيئًا، يتحسس السلالم قبل الصعود خشية لحدوث أى صوت.

كان يسمع صوت خطوات المساعد، لكنها توقفت، فأدرك (صالح) أنه توقف نحو شقة ما، وبالتأكيد هُناك شيئًا سيدله على عنوان الشيخ.

كان الطابق الأخير الذى توقف أمامه المساعد، تَوقف (صالح)، نبضات قلبه تُسرع، عروقه تَدفق الدماء بسرعة شديدة، عقله لا يتوقف عن الأسئلة.

كان الباب مَفتوحًا، مما أثار ريبته، دَخل الشقة بهدوء، لم يَرى شيئًا سوى بعض الأنوار المضاءه فى الشقة الضيقة، خَطا أولى خطواته نحو الضوء الخافت، فشعر بالذعر فورما سَمع صوت ما يتحدث بصوتٍ عال، قائلاً:

- أنا أعلم أنك هُنا.

إتسعت عينا (صالح) مَذعورًا، هذا الصوت!.. أنه يعرفه!، ذلك الصوت الذى أشبه بفحيح الثعبان، شعر وكأن قلبه قد تَحرك من موضعه، فأستطرد الصوت:

- أعلم أنك تُخطط للإنتقام.. لكنه لن يُجدى نَفعًا.

أصدر (صالح) نَفسًا من فمه، فأردف:

- هُناك دومًا طريقة للبحث.. لكنك لا تعرفها.

تَحرك نَحو مكان الصوت، على يقين بأن هذا الصوت هو صوته، تمامًا كالذى سَمعه فى الحافلة، فى عجلة من أمره، سَمع الصوت يبرز كلماته الأخيرة:

- ذلك الطريق الذى تسير فيه أنت وصاحبك آخره سراب.. وأعلم تمام العلم..

أن كُل شيء تفعلانه لن يؤدى إلى نتيجة..

دَخل (صالح) الغرفة التى يصدر منها الصوت والضوء الخافت، وَجد مُسجل صوتى بجانبه سماعات قوية وكبيرة، تَعصب وأحتدم الغضب به، فأمسك المُسجل وألقاه بعيدًا عنه وكَسر السماعات بواسطة قدميه، أطلق صرخة قوية، صَعدت إلى عنان السماء..

شعر (صالح) بلفحٍ من الهواء خلفه، إستدار لكى يَنظر، لكنه لم يَستطع أن يرى وجه ذلك الرجل.. لأنه وَضع حُقنة فى عنقه، جعلته يقع على الأرض، ليرى الظلام مُجددًا.

* * * * *

نظر إلى الساعة بقلق، لقد تخطى (صالح) النصف ساعة فى الخارج، كان قلقًا بشدة من أن يكون فعل شيئًا أحمقًا أو خطئًا.. لكن (صالح) ليس بالفتى الصغير لكى يرتكب خطأ أحمق.

إنبثق نور الشمس، وهدأت السماء نحيبها، قاوم (يوسف) النوم بكُل الطرق، لكن النوم لم يتركه فى حال سبيله.. مَرت ساعة على ذهاب (صالح)..فبدأت نفسه تسأله، ما الذى حَدث لـ(صالح)؟! ما الذى فعله؟!

خَرج من سيارته مُحاولاً الإبتعاد عن هاجسه اللعين.. أخذ يَنظر إلى ذلك الضوء الدافئ الذى يحتضنه، رائحة الشروق المُريحة للأعصاب .

لكن هذا الشعور الجميل، بتلك الرائحة المريحة للاعصاب، لم يَكتمل أبدًا.

سمع صوت خطوات يخفق من خلفه، إبتسم إلى ذلك القدر.. فوجد حُقنة تُغرز فى عنقه، لم تكتمل آهته المعبرة عن الألم، أغشى عليه فورًا، حملوه وضعوه بداخل تلك السيارة السوداء..

بجوار صاحبه..صالح.

* * * * *

# الفصل السابع

ظلام.

هذا ما كانا يرياه، الظلام.

لم يَسمع أحدهما صوت الآخر، لم يعلموا أين هُم الأن، كانا تائهين لا يعرفان شيئًا، لا يعرفان حقيقة الأمر.

فَتح (يوسف)عيناه وأغلقهما مِرارًا، يُحاول أن يتذكر آخر شيء حدث له، القلق يعلوه ويحُطمه، لكنه لم يكن خائفًا، كان يعلم أنه سيخرج من هذا المكان سالمًا، كما أتى منه سالمًا، فى تلك الأثناء.. سَمع تمتمة صاحبه:

- يوسف..

إنبعث الهدوء فى قلبه، فتكلم:

- أنا هُنا..

إبتسم (صالح) رغم آلامه، وقال لـ(يوسف):

- ما الذى حَدث؟!

فتكلم (يوسف) مُتلهفًا:

- يجب أن أعرف ما الذى حَدث منك.. لِمَ أختفيت؟
تَنفس (صالح) وحَكى لـ(يوسف) كُل شيء بصوت خَفيض كاد أن لا يُسمع، تصبب العرق من وجه (يوسف)، شعر بالخوف والهلع معًا، فقال بهدوء:
- حَسنًا.. تخيل معى أنى (عباس)،جميل؟!
- تمتم (صالح) بكلمة لم يسمعها (يوسف) فلم يحفل، فأستطرد:
- بالتأكيد.. انا كـ(عباس) أفعل كُل هذا لسبب واضح وصريح، أنا أفعل هذا لأن بالتأكيد يوسف أو صالح ضرّونى فى شيء ما، صح؟
قال (صالح) وهو يُفكر:
- صح!
فبدأ (يوسف) يُفكر أكثر فأكثر:
- إذًا، لِماذا لم يقتلنا مُنذ اللحظة الأولى؟!
قَطع حديث (يوسف) ذلك الضوء القوى الذى إغتصب عيناهم فتأوهم من شدة الألم، جاء الضوء مُباغتًا، وضعا يديهما على أعينهما فى ألم، فسمعا دوّى إغلاق باب الغرفة التى كانوا فيها، نَظر (يوسف) من بين يديه ليتفحص وَجه ذلك الرجل، فوَجد شابًا، حليق اللحية، خفيف الشعر، طويل،نحيف جدًا، مُرتديًا زي الأطباء، فقال لهم بهدوء وإبتسامة:
- لا تخافوا..
بُمجرد أن قال تلك الجملة، إنبثقت شياطين التفكير والأسئلة تُراود عقليهما، فزادت إبتسامته إتساعًا وأسنانه بياضًا، فنَظر (صالح) يتأمل الغرفة، كانت الغرفة شديدة الصغر، تحتوى على سريرين فقط ومقعد أبيض مصنوع من البلاستيك غير مُريح، ضوء أبيض يتوسط المكان، جدار مَدهون بطلاء أبيض اللون، مَشقوق عدة شقات صغيرة، خالية من أى شيء آخر،ثم تحدث الطبيب:

- أنتم الان فى المكان السليم لكما، فى مشفى (الصحة) للأمراض النفسية والعصبية.

إتسعا بريقا عينا (يوسف) فى غَضب، إستثارت ملامحه وبدأ يتدبر الأمر بهدوء، لكنه لم يستطع، قرر أن يضع أى ردة فعل همجية فى جانب، إلى أن يستمع إليه:

- لقد عرفنا قصتكما بأكملها، من أكثر من شخص ولن أستطع أن أقول على أسماؤهم، لكن على رأسهم أستاذى (كامل رئيس).

لم يتفاجأ (يوسف) ولم يُغشى عليه من أثر الصدمة، فقد كان هذا واضحًا وضوح الشمس مُنذ أن دَخل ذلك الطبيب عليهما، إستطرد الطبيب وهو يَتجول فى المكان:

- لن تخرجان من تلك الغرفة، سنجلس سوياً كُل يوم إلى أن تتعافا إن شاء الله، لكنى أريد منكم أن تتفاعلوا معى، وأن تصغيان إليّ وما أقوله إليكم تفعلوه دون تردد.. فأنا بالتأكيد لن أفعل ما يضركما، أنتما مرضى عندى فسأحافظ على صحتكم.

ساد التوتر الغرفة، إحتواها كإحتواء الأم لرضيعها، أمسك الطبيب المقعد الأبيض ووضعه بين السريرين، فرقع إصبعه وقال مُغمض العينين:

- آه.. نسيت أن أعرفكم بنفسى، أنا (شريف)، طبيب نفسى، أحاول أن أخفف من عليكما الحمل.

نَهض (يوسف) من مكانه غاضبًا مُتعصبًا، يسب الطبيب (شريف) بأفظع الألفاظ، فنطحه على وجهه بيده فوقع الطبيب إثر تلك اللكمة، لم ينفعل، بل نهض من مكانه مُستندًا على سرير (صالح)، فوقف أمام (يوسف) واضعًا يده على خده.

رَفع (يوسف) يَده الأخرى لكى يضربه لكن أمسك (شريف) بها، أنزلها بجانبه مَرة

أخرى وقال لـ(يوسف):

- لن تُحب طريقتى فى التعامل مثلك.

لم يهدأ (يوسف)، بل زادت ثورته، فضرب (شريف) عدة ضربات مُتتالية لم تأت واحدة منهم فى وجه الطبيب، فقام الطبيب بردة فعل طبيعية وهى ضرب (يوسف).

ضَربه على أنفه ضربة شديدة، فأندفع عائدًا نَحو سريره إثر الضربة، تأوه بشدة وأخذت أنفه تُنزف، فهدأ تمامًا ، ثم جَلس الطبيب مُجددًا على المقعد،عَدل من هيئته الوسيمة، كُل هذا يراه (صالح) بهدوء، لا يفعل شيء سوى الجُلوس مُحدقًا فيهم وهما يرتكبون الحمقات، فتكلم الطبيب موجهًا حديثه لـ(صالح):

- ما أروع أن نكون هادئين، مثلك يا (صالح).

إبتسم (صالح) بألم مَخفيّ، لم يَتحدث، عَرف مُسبقًا أن (يوسف) سيؤديه لإرتكاب الكثير من الحمقات، فتحدث الطبيب بثقة:

- سنبدأ جلساتنا من الغد.. وسيأتى الطبيب (كامل) لرؤيتكما صباحًا.

صَمتا، فنهض من مكانه مُتعجلاً وَخرج من الغرفة، لكن قبل أن يغلق الباب سألهما:

- هل أترك لكما الضوء أم أغلقه؟!

بدون تَفكير، تَحدث (صالح) مُبتسمًا:

- أتركه مَفتوحًا.

اومأ برأسه، فأغلق الباب خلفه وذهب، نَظر (صالح) إلى (يوسف) فى غضب جاحم، لم يَتحدث معه، لكنه بدأ يَشك فى نفسه، يَشك فى تلك الأشياء الموجودة حوله..

هل هو مريض؟!، أخذ يَسأل نفسه، هل كُل تلك الأشياء التى رآها ما هى إلا

مُجرد تهيؤات؟!، أنه يَتمنى ذلك، فلابد وأن (نور) ستكون حيّة مُجددًا، إنه يدعو الله من كُل قلبه أن يكون هذا خيالٍ عابرٍ، لم ولن يَحدث، يَتمنى أن يُغلق عيناه ويفتحهما، يَجد نفسه على سريره، بين أحضان زوجته، يُقبل يديها وينام على حجرها، لكنها أحلام غالية، مُحالة التحقيق.

كُلما تَذكرها يبكى بداخله، يشعر بإنشقاق قلبه كُلما تَذكر إبتسامتها الناقية، دموعها الصافية، الألم يُحاصره من جميع الجهات، لكنه مُتماسك لأقصى درجة، يود الوصول لذلك الشيطان الذى قلّب حياته رأسًا على عقب.

نَظر (يوسف) إلى سقف الغرفة، كانت هادئة لدرجة قاتلة، لا يوجد بها صوت عقارب الساعة، صوت المروحة، صوت زقزقة العصافير، كانت خالية.

يود أن يُكمل إلى النهاية المحتومة التى لم يعرفها أبدًا، يُحاول أن يَختلس من تفكيره لكنه لا يستطع، لا يستطع أن يعرف ما هو القادم.

تسائل (صالح) بصوتٍ عال:

- ماذا سنفعل؟!، أنهم يظنونا مرضى؟!

لم يَرد (يوسف)، كان هائمًا فى ذكرياته التى أغلبها مُشوشة، ذكرياته المليئة بالدماء المُلوثة، كان يشعر بالندم لإقترافه كُل تلك الجرائم، لإسالة كُل هذه الدماء، يَود أن يَخرج بشدة من ذلك المأزق اللعين، لا يعرف كيف، لكنه يود أن يُكمل إلى النهاية.

سُيحاسب (عباس) حسابًا عسيرًا، سيحاسبه على ٣٦٥ يوم فى مشفى للمجانين، سيُحاسبه على كُل ساعة كان يتذكره فيها، سيحاسبه على المرة الأولى التى خاف فيها من بشرى.

شعر بأن عقله يود أن يسترخ قليلاً، فنهض ليضع رأسه على الوسادة الثقيلة التى لم يعتد عليها يومًا، وعندما إقترب من خَلده للنوم، وَجد أن الوسادة ثقيلة جدًا

على رأسه، فحركها من موضعها تمامًا.. ليشعر بالصدمة المُفاجئة..
- ماتلك الورقة؟
صَرخ (يوسف) هلعًا، فنظر له (صالح) فى تلعثم، شعّ الخوف منه، فبدأ (يوسف)ينظر له فى خوف، بلّ (صالح) شفتيه بلسانه، وأومأ برأسه له، فَتح الورقة المطوية، وَجد كلمات كُتبت بقلم أسود اللون:
- الهرم شارع ترسا عمارة رقم ٧ شقة رقم ٢ . -
إرتخت معالم(يوسف)، ظهرت السخرية على وجهه، فأردف:
- إنه يودنى الذهاب إلى ذلك البيت الذى قابلته فيه المرة الأولى..
هَدأت أركانهما تمامًا للحظات، فبغتة تَحرك (يوسف) من موضعه وهو يتجه نَحو سرير (صالح)، ألقى الوسادة بعيدًا، وَجد ورقة أخرى.
حَدق (صالح) للورقة، أخذها بتريث وشرع فى فتحها، قرأ ما بداخلها بصوت عال:
- لن يأت يوم ويذهب، إلا وأنت ترانى. -
صَمت (صالح) تمامًا، ثابتًا على وضعيته، يُحاول أن يفهم، ما المغزى وراء تلك الرسالة، هل تَدل على أن الحقيقة قد إقتربت، أم أ.....
تلك الجملة، قالها له فى نهاية المقابلة الأولى، نعم نعم، إنه تذكرها جيدًا، حَكى لـ(يوسف) كُل شيء.. فتحدث (يوسف) فى تلهف:
- لِماذا أشترى لك هذا الكمبيوتر؟!!
هَز (صالح) رأسه نافيًا، أى أنه لا يعلم، فأستطرد (يوسف)
- أنا لا اعرف.. يوم رأيت (عباس)، هل كان حقيقيًا ام خيالاً، جميع من حولى كانوا يقولون لي أنى لم أخرج من مكتبى يومها، حتى (رشا) قالت لي ذلك.. أنى لم أخرج يومها من المكتب، بل كُنت نائمًا طيلة يوم....

سَكت (يوسف) فجأة، شَرد عقله، يُحاول رَبط كُل شيء ببعضه، يَصل تلك النقطة بالنقطة الأخرى، إلى أن أخذ يَضحك بشدة، يَضحك على غباؤه، فتكلم بين ضحكاته:

- - لا تثق فيمن حولك، إنهم دومًا يخدعونك لا محالة. -

عقله كان مُشتتا، كأوراق لعب نصفها مقطع والنصف الأخر مفقود، لكنه فهم، عَرف الحقيقة، كُل من حوله خائنون، هم يعرفون بأمر (عباس).. لكن ما مصلحتهم فى مواراة الأمر؟

نَهض (يوسف) من مكانه غاضبًا، يَصرخ حتى شعر بان أحباله الصوتية تقطعت، إن (رشا) خائنة، تعمل لصالح (كامل)، لكن لماذا؟!!

حتى ولو إستطاع الإجابة عن سؤال، فيجد تلك الإجابة سؤال آخر..

صَاح (صالح) فيه مرارًا لكنه لم يستمع له، صراخه كان يَحتل أرجاء المكان، لم يستطع تصديق ما خَمن فيه، ظن انه خَطأ أو شيء ما.

توقف عن الصراخ، ثم نَظر إلى عين (صالح) المليئة بحب الثأر والإنتقام، فقال له:

- نحن لسنا مَرضى يا (صالح)..

إتجه نَحو سريره، مَدد عليه وأراح جسده الضارع، إبتسم رغم كُل تلك المصائب، تأمله (صالح) بقلق، لكنه كان يعرف ما بداخله، ذلك الإحساس بالخيانة، حاول جاهدًا أن يتحدث معه، لكن (يوسف) كان صامتًا، يُفكر فى كُل شيء، وَضع الغطاء على جسده، نظر إلى سقف الغرفة المليء بالتشققات، إبتسم، قرر أن يواجه الحقائق التى تتدفق تباعًا.. كبحرٍ ليس له قاع.

- نحن لسنا مَرضى.

وأنطفأ النور من الغرفة.

* * * * *

كانت الغرفة مظلمة، بداخلها الهواء كئيب، يبعث الحُزن، شَما رائحة غريبة، ليست بالمقززة ولا الرائعة، لكنها كانت عادية، مثل رائحة أجسادهم.

ذهب (يوسف) إلى النوم مُسرعًا، أما (صالح) فكان جالسًا على طَرف السرير، حانيًا ظهره شابكًا كلتا يديه فى تركيز، عيناه تشعان غضبًا وإثمًا، إنتقامًا وقتلاً، لم يظن يومًا أنه سينقلب ذلك الإنقلاب، من شخص بريء مُحبًا لبيته وزوجته، مُخلصًا لعمله، إلى شخصًا يتعطش الإنتقام، كأحد ما مُتربصًا فى صحراء جرداء، تقع أشعة الشمس على رأسه عمودية، مُخرجًا لسانه من فَمه ظمئًا.

سَمع صوت تَقلب (يوسف) على سريره، لم يَكن يرى شيئًا، بل كان فقط يَسمع، يستنتج، لكن وبعد لحظات من سكونه، أُضيئت الغرفة بالكامل فرَجع على سريره واضعًا يديه على عينيه ، شاعرًا بألمٍ يُحاصره، كحصار مجموعة من الصيادين على فريسة واحدة، فُتح الباب دُفعة واحدة بطريقة سينمائية، دُمعت عينا (صالح) إثر الضوء المُفاجئ، سَمع صوت (يوسف) يصيح:

- كامل؟!!

نَظر (صالح) بعدما هدأت عيناه تمامًا، وَجد شخصًا ما غريبًا، لم يره أبدًا، لكن نَظرة (يوسف) له أوضحت أنه بالتأكيد يعرفه جيدًا، إبتسم (كامل) فى تحد، أغلق الباب الخشبى من خلفه وقال:

- أنا هُنا لإنقاذكم يا سادة..

إحمر وجه (يوسف) غضبًا، لكنه بدأ يهدأ قليلاً، فأستطرد (كامل):

- أنا كُنت الطبيب الخاص بك يا (يوسف)، لكنك لم تسمعنى أبدًا، لم تطيع أوامرى،قُلت لك مرارًا لا يوجد أحدًا يُدعى (عباس)، لكنك ظللت تُعاند وتأبى.. إلى أن وصل بك الحال إلى هُنا!

جَلس (كامل) على المقعد البلاستيكى، فتحدث (صالح) بنفور:
- من أنت؟!!
نَظر له فى ترحاب، فتكلم بصدرٍ رحب:
- لم أراك من قبل يا سيد (صالح)، لكن التعب يظهر جَليًا على وجهك، مسكين أنت.
أخذ يُلقى نظره فى أنحاء الغرفة بالكامل، وأستطرد ناظرًا للسقف:
- أظن أنك لا تعلم، هُناك شيء بالغ الأهمية، يجب ان أقوله لك.
نَهض (كامل) من موضعه، وَضع يده فى جيبه الأيمن وأخرج ورقة مطوية من جيبه وأعطاها لـ(صالح)، أمسك الورقة بلامبالاة، فَتح الورقة التى كانت من صحيفة بإسم (النهار)، كانت صورة (صالح) موجودة على الجريدة ومكتوب أعلاها:- **مطلوب** - ، إبتلع ريقه، ضاق نفسه وأشتد حُنقه، قرأ التفاصيل الموجودة بالأسفل فرأى أسمه، ورأى السبب:- يعانى من إختلال عقلى، طعن زوجته عدة طعنات إلى أن قتلت- ، قرأ تلك بصوت عال، فأتسع حدقتا عيناه وفغر فاه، نَظر إلى (كامل) الذى تَحدث بغرور:
- من الواضح أن الشرطة المصرية بدأت تعمل بجد، فتلك الصورة تَملؤ مصر بمحافظاتها وحواريها.
ضَحك (كامل) بشدة، فَنهض (صالح) دامع العينين، أمسكه من ياقة قميصه، صَرخ فيه عدة صرخات متتالية، فصاح:
- قتلتوها.. أنتم من فعلتوها.
لكمه لكمة شديدة على عينيه، فتعددت اللكمات مُسرعًا، حاول (كامل) أن يُدافع عن نفسه لكنه كان ضعيفًا، نَطحه على رأسه بجبهته، كان غضبه الشديد الذى كتمه، خَرج فى تلك اللكمات التى يضربه بها، سَقط (كامل) على الأرض، فصرخ

(يوسف) فى (صالح) لكنه لم يَكترث، بل أخذ ذلك المقعد البلاستيكى وضرب (كامل) به وهو يصرخ:

- أنا لم أفعلها.. أنا لم أفعلها.

سالت الدماء من رأس (كامل)، إشتدت ضرباته قسوة وغلظة، فأنقض (يوسف) عليه يَصرخ فيه، مُحاولاً أن يجعله يَستوعب ما يقترفه بيده، هَدأ (صالح) تمامًا.. ففعل آخر شيء يخطر على بال (يوسف)..

ضَحك (صالح)، بل نَسيّ كُل شيء وشَرع فى ضحكاته الشيطانية، هَلع (يوسف) ، فعرف شيئًا واحدًا..

أن (صالح) قَد قُتل تمامًا من الداخل.. ولن يعود كما كان أبدًا، ذلك الشخص الطيب إنتهى، تلك العين الصافية الخالية من أى شر، لن تعود أبدًا.

إقترب (يوسف) من (كامل) ليفحصه، نَظر إلى وجهه المليء بالدماء، وَضع رأسه على صدره، لم يسمع أى إشارة تُعلن أنه على قيد الحياة..

لقد مات (كامل)، و(صالح) يضحك كالمجانين، نام على الأرض وضحكاته لم تهدأ، لكن شيء ما لاحظه (يوسف) في عينا صاحبه، كان يبكى بين ضحكاته، دُموعه تُذرف بشدة، إنفطر قلبه لرؤية صاحبه بتلك الهيئة، يَضحك كمسلوب العقل ويبكى كالأطفال.

توقف هُنيهة عن ضحكاته، فسأل (يوسف):

- أنا لا أفهم شيء يا (صالح)، أرجوك وَضح لي..

نَظر (صالح) له، عيناه مليئتين بالبكاء، نام مُتوسدًا، أغمض عيناه، فتحدث بهدوء:

- لفقوا لي تُهمة قتل (نور)، زوجتى.

إبتسم (صالح) فى حسرة وألم:

- يقولون أنى قتلت روحى يا (يوسف)..
نَهض وجلس على الأرض، نظر إلى جُثة (كامل) الملقاة أمامه، فأستطرد:
- إقتربت النهاية يا صديقى، إنه يقع فى أخطاء ونحن نتصيدها له..
ألقى ناظريه إلى الباب الخشبي، لَمعت عيناه فجأة، نَهض من مكانه وهو يَنظر إلى الباب، تَحسسه بأطراف يده، نَظر إلى (يوسف)، وأخبره:
- فَتش كُل جيوبه، من الممكن أن نجد شيء ما.
قُرعت الطبول بداخل (يوسف)، فأخذ يُفتش الجثة المليئة بالدماء، وَضع يده فى جيبه فوجد أموال، أخرجها ووضعها على الأرض، وَضع يده فى جيب سترته وَجد مُسدسًا، إبتسم (صالح)، إقترب من (يوسف) وأخذ المسدس، إستكمل (يوسف) تفتيشه، وَجد مفاتيح سيارة، فأخذها ووضعها فى جيبه، من الممكن أن يحتاجاها، نَهض (يوسف) ووقف بجانب صديقه، صوب (صالح) المُسدس تجاه مقبض الباب، كان مُتبلد الأحاسيس، بارد الشعور، لم يشعر بالخوف ولو لوهلة عكس (يوسف) الذى كان يرتجف من شدة خوفه.
أومأ (يوسف) برأسه لـ(صالح)، فأنطلقت رصاصة تُفجر مقبض الباب، كانوا على أتم الإستعداد للمواجهة، وَقفوا خَلف الباب بهدوء شديد، كان (صالح) فى المقدمة، مُستعدًا لإطلاق أى رصاصة، عندما خَرجا من الغرفة والصمت يسود الموقف.. أصابتهما المفاجأة..
لم تكن المشفى مَشفى، بل كانا محبوسان بداخل شقة واسعة، شقة فاخرة، نَظر (يوسف) إلى (صالح) بذعر، كانت الشقة مقسمة لعدة غُرف، حُبسا بداخل واحدة منهم وأغلق الباب من الخارج عليهما كى لا يستطيعوا الخروج.
فى تلك الأثناء، تَحسس (يوسف) جدار الشقة بخوف، فقال لـ(صالح) بلهجة عَطرها الخوف:

- تلك الشقة.. هى الشقة التى قابلت (عباس) فيها للمرة الأولى..
ضَحك (يوسف)، صَفق لشدة عبقرية (عباس)، فهو يعرفهم قدرهما ويعرفهم كم هم أغبياء، شعر (يوسف) وأنه على حافة الجنون، كما قال الشيخ، يلاعبهم بدون أراقة الدماء، يلعب على أنفاسهم، يجعلهم يخافون ثم يطمئنون ثم يخافون مجددًا، إنه أذكى بشرى مَر على تاريخه.
كُل تلك الأشياء قادته إلى سؤالٍ واحد، إذا عَرفه سيشعر بالراحة والسعادة الأبدية.. لِمَ يفعل كُل هذا بهما؟!!، سؤال من الصعب جدًا الإجابة عليه.
وَقفوا فى الصالة يتأملون كُل بقعة فى الشقة، ينظرون إلى الأعلى، إلى الأرضية، إلى اللوح المعلقة، عَقد (يوسف) حاجبيه فى إستغراب، رأى صورة فتاة صغيرة معلقة فى برواز على الحائط، تلك الفتاة رآها مُسبقًا!
عندما كان موجودًا هُنا فى المرة الأولى!

* * * * *

كانت البنت شديدة الجمال، عيناها زرقاوين، شقراء الشعر، إبتسم (يوسف) عندما رأى الفتاة، لأنها جميلة فعلاً.
أتى (عباس) من خلفه، وضع الصينية وما فيها من كوباين من الكوكاكولا على الطاولة، وأخبره فى هدوء:
- إنها إبنة أخى..
سرح (يوسف) فى تفاصيل الصورة، نسيّ نفسه ومن حوله، وأتى صوت (عباس):
- ماتت فى حادثة، هى وأخى وزوجته.
حَزن (يوسف) من قلبه فور سماعه تلك الجملة، فأدار وجهه إلى (عباس) وقال له بأسف:
- أنا أسف.. رحمهم الله.

* * * * *

- تلك هى مُفتاح اللغز!

صاح (يوسف) بها، نَظر (صالح) تجاه الصورة، تأملها جيدًا، لم يعرفها، لم يستطع تحديد الملامح، فَرك فى رأسه، كان (يوسف) سعيدًا، حَل اللغز قد إقترب!، سيعرف من هو (عباس) وسيدفعه الثمن أضعاف مُضعفة.

أمسك (صالح) الصورة، تأمل ملامح الفتاة الصغيرة، كانت ملامح شديدة الطيبة، ملامح لاتعرف معنى الشر أبدًا.. سأل بصوت عال:

- من هذه يا (يوسف)؟!

لَم يَرد (يوسف)، كان يُحاول أن يفهم، يُحاول أن يَربط الأحداث ببعضها، صَمت قليلاً، فقال مُسرعًا:

- يَجب أن ننزل من هُنا.. فورًا.

* * * * *

عندما وليّ الليل، إلتمع الغضب المكبوت بعينيهما، لم يكنا يعرفان وجهتهما، ظلا واقفين أمام البناية مُحدقين فى البشر المارين، يحسدونهما على عدم وجود كابوس يُدعى (عباس) فى حياتهم.

غاضبان كانا، يودان معرفة أصل الشيطان، حَلّ الخوف المكان وتصيدهما كفريسة للتغذى عليهما، وقفا فى الخارج لا يعرفان أين هما بالتحديد، فسألا شخص ما، قالا لهم أنهما فى شارع ترسا بالهرم.

إقفرا، كانا يتدوران جوعًا، لكن هذا ليس بالأمر الجلل، إنتظرا حتى تأتى وسيلة مواصلات تقلهما إلى أى مكان يعرفانه، كانت أموال (كامل) مع (يوسف)، كانوا حوالى خمسمئة جنيه، بالتأكيد سيفوا بالغرض.

توقفا فى منطقة بها سيارات كثيرة، إتفقا أن يذهبا إلى بيت (صالح) لمعرفة ما

بداخل ذلك الجهاز الذى إشتراه (عباس) لـ(صالح)، سيحاولان التفكير وتدبر الأمور هُناك، بالتأكيد سيصلهم الكمبيوتر هذا لشيء ما.

أوقف (يوسف) سيارة أجرة، فقال للسائق:

- بولاق أبـو العلا..

أومأ السائق برأسه، فأستقلا السيارة بسرعة، وذهبت السيارة نَحو البيت.

بدأت عقولهما فى التشتت، أسئلة كثيرة ومروعة، دماء تتناثر بين بقعة وأخرى، كابوس إقتحم حياتهم دون إنذار، شخص لا يعرفان عنه شيئًا، يعرف هو كُل شيء عنهما، أسرار لا يعرفها أحدًا سواهم.

هو شيطان، هو إنسان مَخبول، هو أنفسهم المريضة.

ثلاثة إختيارات وُضعت بين أعينهم، ينقرون عليها بعقولهم، فيبرمجون عقلهما على تلك الإجابة، هَدفًا أسمى يودون الوصول إليه، وهو الإنتهاء من ذلك اللعين.

توقفت السيارة أمام ذلك الشارع، خرجا من السيارة بعد إختزال الزمن نصف ساعة أخرى، حاسب (يوسف) السائق، وبدأ (صالح) يتحاشى نظرات الناس، يخاف منهم، يقلق من أعينهم الجاهلة، كان يسير مُسرعًا ليتضجع فى مأواه، ليختبأ فيه.

وَصل إلى ذلك الشارع، بدأ يلعن نفسه الغبية، كيف له أن يأتى فى تلك المنطقة مَرة أخرى!، الناس تعرفه، إنهم يظنونه قاتل زوجته، باغض النعمة وخائن للعِشرة.

نَظر فى أعينهم فى خوف، لم يكن أحدهم ناظرًا إليه، كانوا يمشون دون أن ينظرون جانبهم، إطمئن قلبه حتى وَصل إلى البناية.

صَعد إلى الشقة ومعه (يوسف) خَلفه، اخرج المفتاح من جيبه فى عجلة من أمره،

فَتح الباب بهدوء، فكانت الشقة مُعتمة تمامًا، وَضع يده على مُفتاح الإضاءة فأُضيء النور فى شتى الإتجاهات، ليتهم كانوا ظلوا فى الظلام دائمًا وأبدًا.

تلك الجُثة الملقاة على الأرض، ذلك الشعر الأسود المسترسل، تلك العينين الخضراوين، ذلك الوجه الأشبه بالقمر ليلة الكمال، تلك الفتاة التى يُهيم (يوسف) بها عشقًا.

هَدأ (يوسف) للحظات كالوجود من حوله، تأمل الجُثة بهدوء، ذَرف دمعة مُستكينة من عينه، نَظر (صالح) له فى إستغراب، فسأله برعب:

- (يوسف)، من تلك الفتاة؟!

كانت أشبه بالملائكة، الدماء تُحيطها، رصاصة أتت فى جبهتها، قُتلت فى ذلك المكان، جَثي (يوسف) على رُكبتيه، كان (صالح) يَنظر له، يتذكر عندما رأى زوجته ملقاة بنفس الطريقة، لم يتغير شيء سوى الوجه فقط!

إنفطر قلب (صالح) إثر ما رآه، شعر بذلك الإحساس القذر الذى يأكل قَلب صديقه، نَظر (يوسف) إلى الجُثة صارخًا بإسمها، لم يعرف قط انه سيشعر بإحساس العجز مُجددًا.. لقد ماتت (رشا).

قتلها (عباس)، الوغد الذى لا يعرف ما يُدعى الرحمة.

بَكيّ (يوسف) كما لم يبك من قبل، إحتضنها، أخذ (صالح) يُناجى ربه، يا الله!، إن ما يحدث الان نَفس ما حدث له بالضبط!

أطلق (يوسف) آهة من حُلقه، فَسمع صوت خطوات تأت من الخارج، نَظر (صالح) من العين السحرية إلى الخارج، وَجد بعض من رجال الشرطة يقفون أمام الباب، سمع دَويّ طرق على الباب، ضَحك (يوسف) غير مُصدقًا..

لم يَخف (صالح)، كان يعرف ان هُناك شيء ما سيحدث سيخرجهم من ذلك المأزق، فَتح لرجال الشرطة الباب، دَخلوا كأسراب من النمل، وَضعوا الأصفاد فى

يديهما، كان (صالح) مُستسلمًا، يُحاول تَدبر الأمر، رأى شبح إبتسامة يَرتسم على وَجه (يوسف)، قُتل كُل شيء طيب بداخل نَفسه كما حَدث لـ(صالح).

كانا على يقين أن النهاية لن تكن تلك.. عندما إبتعد (يوسف) عن جُثة (رشا) التى حاوطها رجال الشرطة، وَجد نفسه يبتسم لها لا إراديًا، ويقول فى سره أنه يحبها.. ولن يحب أحدًا سواها.

آخر ما رأوه، الكمبيوتر الذى يُلوح لهم من بعيد، وكأنه يَنتظر أن يأتى أحدهم ويرى ما بداخله من أسرار..

فأنغلق باب الشقة والشرطة لازلت بالداخل.

* * * * *

كانوا فى جوف الغرفة، على وجوههم إرتسم الجمود، كان الوكيل ينظر لهم فينة بعد فينة، لم يَتحدث أبدًا، كان (يوسف) شاخصًا أمام الوكيل، بجانبه صاحبه (صالح)، كان (يوسف) ناظرًا إلى الأرض، واضعًا يده على الأخرى، كان (صالح) يَنظر له كُل دقيقة، يشعر بالشفقة تجاهه، لأول مرة مُنذ أيام يشعر بالعجز.

كان الوكيل يَنظر لهما بتشف، بغلٍ حقيقى، تَحدث الوكيل وعقب السيجارة بين شفتيه:

- هممم.. ماذا إذا؟! لِمَ فعلتوها؟

كانت حالتهما يُرثى عليها، الأتربة تُغطى ملابسهما، وجوههما شاحبة كالأشباح الظاهرين فى الأفلام، لحيتهما تعطيهما مَظهرًا مُهيبًا.

كان مكتب وكيل النيابة عاديًا، لم يَكن فخمًا كمكتب (يوسف) فى شركته على سبيل المثال!، مكتب كبير عليه كمبيوتر ولوحة صغيرة حاملة إسم الوكيل (أشرف الشيخ)، مقعدين أمام المكتب كأى مكتب، وفى الخلف أريكة جلدية مُريحة، من الواضح أنه يَنام عليها أثناء أوقات فراغه، شُباك يتوسط المكان، يُبعث نور

الشمس الذهبى لتضع بصمتها فى كُل نُقطة بمكتب الوكيل.
أنهى الوكيل سيجارته فوضع العقب الباقى فى المطفأة، إبتسم الوكيل إبتسامة صفراء لهما، وقال لهما:
- ما سبب وجودكما فى مَسرح الجريمة؟!
لم يَتكلم أحدًا منهما، صاح فيهما الوكيل:
- انا أتحدث معكما!
نَظر له (صالح) بقلب مُحطم:
- إنها شقتى يا حضرة الوكيل.. ومن الممكن أن تسأل أى شخص فى الحارة سيخبرك.
جَلس الوكيل بعدما خَمد قليلاً، فطلب منهم بإشارة من يده:
- بطاقتكما.
بلا تفكير، أخرج (يوسف) بطاقته ووضعها على مكتب الوكيل، فسرعان ما أخرج (صالح) بطاقته هو أيضًا، شعر بالأسى عندما أخذوا منه المسدس، فهو كان يود أن يَنهى به كُل شيء، لكن لا يهم، فهو يملك يدين، واليدين تستطيع حمل أشياء أخرى غير المسدسات.
أمسك الوكيل البطاقتين، قرأ مُحتويات بطاقة (صالح) ولم يعقب عليها، لكن الهلع إرتسم على وجهه فعليًا عندما قرأ بطاقة (يوسف)، إنتفض من مكانه، وسأل (يوسف):
- هل أنت (يوسف حسين) رجل الأعمال المعروف؟!
لم يَتكلم (يوسف)، بل رَمقه فخاف الوكيل بشدة، خَرج من مكتبه وصافح (يوسف) بحرارة شديدة، إعتذر له مرارًا وقال له بتودد- من لا يعرفك يجهلك- ، لم يَنبس (يوسف) ببنت شَفه، صَمت تمامًا وجلس على المقعد فى لا مبالاة، لم

يَنظر الوكيل حَتى لـ(صالح)، فور ماجَلس (يوسف)، إتجه الوكيل رافعًا سماعة الهاتف، يسأل (يوسف):

- ماذا تُريد ان تَشرب؟

كان يشعر بالعطش الشديد، فبادر:

- ماء..

قال الوكيل (أشرف):

- هات مياه وكوبين من الليمون بُسرعة.

إرتسمت إبتسامة على وَجه الوكيل، فتحدث:

- أعتذر لك عما حدث يا سيد (يوسف).

أشار له (يوسف) بيده أن لا عليه، كان الوكيل (أشرف)، أصلع الرأس، له شارب أسود اللون، وجهه خالي من الذقن، قصير القامة، بين النحافة والسِمنة، سأل (أشرف):

- لكن ما الذى جَلبك إلى موقع الجريمة يا سيد (يوسف)؟!

بلّ (يوسف) شفتيه بلسانه، فأردف بنفاذ صبر:

- السائق الخاص بي – مُشيرًا إلى (صالح) – كان يود أن يُجلب شيء ثقيل من شقته، لم يَستطع أن يَحمله وَحده لانه كان ثقيلاً، صعدت معه فوجدت جُثة السكرتيرة الخاصة بى.

عَقد حاجبيه فى تفكير:

- ممم، نعم .. فهمت، إذًا من تتوقع ان يكون قد فعل هذا بسكرتيرتك يا سيد (يوسف)؟!

نَظر له بصبرٍ مُعدم:

- لا أشك فى أحد، وأرجوك أود الذهاب.

إنفرجت أساريره، فقال فى سعادة:
- بالطبع ستذهب يا سيد (يوسف)، لكن التعب يظهر على وجهك، من الممكن أن تَذهب بعد أن تتناول أنت وسائقك الخاص الليمون..
فدنا منه قليلاً:
- عمك (سيد) بيعمل ليمون تُحفة.
إنفجر ضاحكًا فلم يهتز فَم (يوسف)، شَعر الوكيل بالإحراج فلاذ بالصمت، طَرق أحدهم على الباب فقال الوكيل - أدخل- ، فدخل الساعى ومعه كوبين من الليمون وزجاجة مياه، كان (صالح) ظمئًا، وُضعت الصينية على المكتب ، فإنطلق (صالح) وأخذ الزجاجة من الطاولة قبل أن يَمد (يوسف) يده ويشرب، فَتح الزجاجة وألقى غطاؤها، ثم بدأ يَشعر ببرد الراحة يتهافت إلى حنجرته، لكنه لم يفهم سر غضب الوكيل منى، فهدأه (يوسف) وأخبره أن لا عليه، فهدأ الوكيل قليلاً، وأخبره بُحزنٍ مُتناسياً ما حدث مُنذ بضعة ثوان :
- رَحم الله السكرتيرة الخاصة بك يا سيد (يوسف)، لعلها فى مكانٍ أفضل.
كان شعوره مُبالغًا، لم يتأثر (يوسف) من كلماته ولم يَرد عليه، تَجرع الليمون دُفعة واحدة فشعر الوكيل بالتقزز منه، لكن لا عليه، فهو بالتأكيد يشعر بالعطش .
دَوى صوت الهاتف الخاص بالوكيل، وَضع السماعة على أذنه وقال:
- نعم.. تمام.
كان الرد سريعًا جدًا بطريقة مُبالغ فيها، أغلق السماعة، وقال لـ(يوسف):
- إذا تود الذهاب يا سيد (يوسف) فبإمكانك الان.
شَكر (يوسف) الله، فنهض من مكانه مُتعجلاً، فتحدث الوكيل وهو يمد يده مصافحاً له:

- نحن نعتذر عما بدر منا، ونعتذر للسائق الخاص بك عن أى شيء قد فعلناه وأغضبناه.

نَهض الوكيل أيضاً وأخرجهما من غرفته بإحترام لم يريا مثله قط، إعتذر مجدداً عما فعله، فخرجنا إلى ردهة القسم ببطء، حَدث الوكيل (يوسف) راويًا له إحدى الحكايات التى لم يهتم (يوسف) لسامعها، خَرجا من القسم تمامًا، فشَمّ (صالح) رائحة الهواء، تلك الرائحة التى إعتاد على إشتمامها يوميًا..

عند نزولهما من الدرج الطويل، وَقفا مُنتظران أية سيارة أجرة لتقلهم بعيدًا عن ذلك المكان البائس، فسَمعا صوت شخص يصيح:

- يا (يوسف)..

نَظر (يوسف) أمامه، وَجد شخصًا ما مُتربصًا ومعه سيارة أجرة، كان رجلاً عجوزًا، يَرتدى قبعة للحفاظ وملابس جلدية ثقيلة للوقاية من البرد، حاول (يوسف) التدقيق فى معالم وجهه، لكنه لم يرى هذا الرجل العجوز قَط!

ذهبا إليه، ظهر طقم أسنانه الغير باهظ، نظارته المكسورة كَسرة طفيفة من المُنتصف، فبادر:

- هل تعرفون شخصًا يُدعى (عباس)؟!

نَزلت عليهما الجُملة كصواعق راعدة، نَظرا لبعضهما فى إستفهام وتعجب، أومأ (صالح) برأسه، فأستطرد الكهل:

- إذًا إستقلوا تلك السيارة.. فهو مُشتاق لرؤيتكما.

إستقل العجوز المقعد الأمامى للسيارة، إستسر (يوسف) من الداخل وشعر بالقرب الشديد من النهاية، أما (صالح) فكان مُتشوق لرؤية ذلك الوغد الذى حَطم حياته وآماله البسيطة.

دَخلا السيارة فى هُدوء تام، جَلسا فى المقعد الخلفى.. وطارت السيارة تُحلق فى الأفق.

# الفصل الثامن

كانت المفاجأة رائعة، الأن.. سيصلون إلى (عباس)، سيعرفون من هو، سيعرفون ما أسبابه، سيقتلانه قتلاً شنيعًا..

كانا مُبتسمين فى أوجه بعضهما، ليس من السعادة، بل حُبًا فى رؤيته مذلولاً أمامهم، يخشاهم، يُقبل أقدامهما وأيديهما كى يغفران له.

كان السائق ينظر لهما بين اللحظة والأخرى، يجدهما مُبتسمين، فيبتسم هو، بادر السائق العجوز بإبتسامة على فمه:

- إذًا من هو (عباس) هذا؟!

لم يفهما بيت القصيد من الجملة، فقال (يوسف) وهو يقترب من مقعد القيادة:

- ماذا تقول؟

صَمت الرجل تمامًا وكأن شيئًالم يَكن، إبتسم (يوسف) مُحاولاً أن يُهدأ من روع ذاته، إختلس النظرات نحو الشوارع التى تَمر مُسرعة، كان يتذكر (رشا)، يَذكر كُل شيء معها، حُبه لها، عناقهما، أحاديثهما الساخرة، إبتسامتها، إضطرب قَلبه وبدأت غريزته للإنتقام تَزيد دقيقة بعد دقيقة.

كان (صالح) جالسًا يتأمل فقط تعابير وجه السائق المُتلون، مُحملقًا فى عينيه التى تَظهر فى المرآة، لم يَكن يُريد أكثر من أن يعرف، كان السائق خائفًا منه لأسباب كثيرة، منها غموضه، نظاراته المُريبة، عيناه التى لم يتغير موضعها، ثابتة تُركز على عينه، وعندما وَصل (صالح) إلى قمة تركيزه، جاء صوت هاتف السائق مُدويًا، أمسك السائق هاتفه ووضعه على أذنه سريعًا، هَز رأسه عدة مرات، فأمسك الهاتف بيده مرة أخرى وأعطى لـ(صالح) الهاتف، نَظر فى عينا السائق مُجددًا، فأمسك الهاتف ووضعه على أذنه، قال:

- ألو!

كان الصمت سيد الموقف، لكن سُرعان ما أتى صوت يخترق طبلة أذن (صالح)، صوت أنثوى سمعه من قبل كثيرًا:

- على الناحية اليُمنى منك مُسدسًا..

نَظر يمينه بسرعة، لم يَجد شيئًا سوى فراغ تام بين المقعد الخلفى والباب، فوضع يده خلسة فى ذلك الفراغ، وَجد شيئًا حديديًا، أمسكه وأخرجه ببطء شديد كى لا يُلاحظه السائق، كان مُسدسًا، وفى قمته كاتمًا للصوت، إبتلع (صالح) ريقه، فأستطرد الصوت:

- إقتل.. وستجد.

إنقطع الصوت فجأة، لم يعرف ما المهمة التى يجب أن يفعلها!، لسوء أو لحسن الحظ، سمع (يوسف) ما دار فى المكالمة، فحدج (صالح) بنظراته الخائفة والمرتابة، كانت السيارة تسير بسرعة شديدة، كيف سيقتلون ذلك الرجل؟!، كانا خائفان بشدة، خائفان أن يرتكبان خطأ يُدفعهم ثمن فادح.

مَد (صالح) الهاتف للسائق العجوز، شعر بالريبة والقلق، تلك المكالمة أتت لـ(صالح) وليست لـ(يوسف)، لأنهم يودون ان يكون القاتل (صالح)!

هل هذا السائق معهم ؟!، إذًا لو كان معهم فكيف يتخلون عنه بتلك السهولة؟!، هؤلاء البشر لايوجد عندهم رَحمة، ولا حتى قليلٍ من الإنسانية.

إنقطعت سُبل الهدوء من رأسيهما، فقال (يوسف) بلا سابق إنذار:

- توقف على إحدى جانبى الطريق، أود أن أتقيأ.

نَظر الرجل من المرآة ، تظاهر (يوسف) بالتعب والإرهاق، تَوقف السائق بسرعة، نَزل مُهرولاً نَحو بابه، فَتح له الباب، خَرج (يوسف) ومن الناحية الأخرى خرج (صالح).

لم يَعد (صالح) يحتمل فكرة قتل إنسان أخر، إنهاء حياة شخص ما، لكن يجب أن يفعل أى شيء للوصول إلى الحقيقة، خَرج الرجل وهو يُساعد (يوسف)، كان واقفًا بجانبه.

لحُسن الحظ كانوا فى طريق خالى من البشر والسيارات، لم يكن سواهم فى الطريق، نادرًا ما تمر سيارة، يبدو وانهم خرجوا من القاهرة ويسيرون فى طريق صحراوى، هذا ما تبين أمامهم.

فى تلك اللحظة، جَهز (صالح) المُسدس، صوبه ناحية الرجل، كان يتألم من الداخل، لا يعرف هل يَضغط على الزناد أم لأ، نَظر (يوسف) له كثيرًا، يود أن يقول له - إفعلها- ، لكن (صالح) كان يَشعر بانه يقترف خطأ، لم يُفكر (صالح) كثيرًا، تَنفيذًا للخطة، ضَغط على الزناد فهرولت الرصاصة نَحو ظهر الرجل.

شعر (صالح) بألم يَفوح من جَسده، وكأن قَلبه قد تمزق، أغمض عيناه فى مُحاولة لإستيعاب ما فعله، سمع صوت إرتطام جَسد الرجل بالأرض، مات الرجل العجوز.. و(صالح) واقفًا أمامه، غير مُصدق ما الذى إقترفته يداه..

أما (يوسف) فكان خائفًا، لكنه إطمأن عندما سَقط الرجل على الأرض، مُعلنًا نهايته.

قَتل (صالح) شخصين فى حياته، أما (يوسف) قَتل سبعة أشخاص لأجل الإنتقام.

نَزل (يوسف) على رُكبتيه يُفتش فى جيوب الرجل على أى شيء يؤديهما إلى (عباس) كما قالت السيدة، كانت جميع جيوبه خاوية إلا جيب واحد.. كان به محفظة.
أخرج (يوسف) المحفظة مُتلهفًا، فَتحها، وَجد وَرقة تَسقط على الأرض، ألقى المحفظة وأمسك الورقة، فَتحها وقرأ مابها، كان عنوان لبناية ما، قال لـ(صالح) انه عنوانًا.
ثار عقل (صالح) كثورة النيران فى البنيان المُشتعلة، ذلك العنوان اللذان سيريان فيه (عباس)..
وَضعا جُثة الرجل فى الأريكة الخلفية، وأندفعا نَحو السيارة من الأمام، قاد (صالح) السيارة بعد مُدة طويلة، تَذكر حافلته التى شُبت فيها النيران، شعر بالحُزن قليلاً لكنه نساه فورًا، لا وقت للحُزن الأن!
رَكضت السيارة تُدهس الأسفلت دَهسًا، تَشق طريقها نَحو (عباس)..
نَحو الشيطان..

* * * * *

- هل سنجد (عباس) هُناك يا (يوسف)؟!
انحدرت الشمس إلى مغربها، فأخذ (يوسف) نفساً عميقاً، ولم يعط إجابة، بل ظل جالساً بجوار (صالح) الذى يقود السيارة بحرفية، فيتأمل هو الشوارع والطريق، وكأن هُناك من أشعل قُنبلة بداخل عقله، أسئلة كثيرة جداً، وذلك المكان سيثبت له إذا كان مريضاً، إذا كانا مرضى، أم هم بداخل حقيقة.
لِمَ ذهب من البداية؟!، لِمَ أثاره فضوله اللعين لزيارة ذلك المخبول؟!، هُناك أخطاء نفعلها فى الماضى، نَتمنى أن نَدفع حياتنا ثَمناً لها، كى تنتهى تلك الخطيئة

أو لا تَكن موجودة ولو بعد حين.
حتى (صالح)، فمنذ أن أخبره عمه بالذهاب إلى الموقف وسيجد شخصًا ما يعلمه القيادة، مُنذ ان رآه وسمعه وهو يَقص عليه حكاية فقأ عينه الكاذبة، مُنذ أن إشترى له هذا الكمبـ...
- الكمبيوتر؟!
نَطقها (صالح) أثناء القيادة، فَعرف (يوسف) مَقصده، تَعصب بشدة وأخذ يَسب نفسه ويلعن غباءه، بالتأكيد الكمبيوتر به شيئًا سيفيدهم بطريقة أو بأخرى.
نسياه تمامًا، تلك الأحداث المتتابعة السريعة جعلتهما ينسوا، فتكلم (يوسف) شاعرًا بالغباء المُباغت:
- إذ لم نجد شيء فى ذلك العنوان، فسنذهب إلى بيتك، ونَرى ما بداخل الكمبيوتر.
مَر الكثير من الوقت، و(يوسف) فى غياهب الذكريات، يبتسم تارة، يحزن تارة، يتألم تارة، إلى أن تحدث (صالح) فى شجاعة:
- (يوسف)...
نَظر له فى تساؤل:
- لقد وصلنا.
ركن السيارة، فنزلا منها فى هدوء تام، انفاسهما الحارة تَخرج مُسرعة، عقلهما يثيران الأسئلة بداخلهما، صداع يجتاح رؤوسهما، توقفا أمام البناية، يحملقان فيها، ينظران لبعضهما والخوف يمتطيهما، تَحركا نَحو البناية، أخرج (يوسف) الورقة مُجددًا، فَعرف أن المكان هو أقرب لمرآب، فى الدور الأرضى، نَظر أمامه فوجد بالفعل بوابة لمرآب، لا يعلمان هل بابه مُغلق أم مفتوحًا، إقتربا منه، فأصدر (صالح) نغمة من صوته:

- أتمنى أن نجده يا (يوسف)..

كانت بوابة المرآب مَفتوحة، دَفعها (يوسف) قليلاً فأنفتحت بين يديه..

رأيا مرآب خال من السيارات، كان عبارة عن أرض مستوية لا يوجد فيها أى شيء، لا مقاعد، لا درج، خالية من كُل شيء حرفيًا.

كانت مساحة المرآب واسعة بطريقة كبيرة، فعلما أن هُنا، ستكون المواجهة.

- من أنتم!

كان الصوت قادمًا من الخارج، عاد الصوت لرجل ما مُسالمًا، لم يفعل أى شيء سوى الصياح فقط، إلتف له (يوسف) ومعه المُسدس، إقتضبت ملامح الرجل وشعر بالذعر، رَفع يديه إلى أعلى فى إستسلام، إقترب (يوسف) منه مصوبًا المُسدس تجاه رأس الرجل، جَثي الرجل على ركبتيه، فسمع (يوسف) صوت (صالح) يقول له بخفوت:

- بلا دماء.

أومأ (يوسف) برأسه، فأقترب من الرجل وبدأ يُفتش جيوبه، ثم قال الرجل:

- خُذ كُل شيء، فقط دعنى وشأنى.

فَتش (يوسف) كُل جيب من جيوب الرجل، فأخرج ورقة من جيبه الأيسر، صاح الرجل فيه بغضب:

- لا .. لا.. لا تأخذ هذه.

غَضب (يوسف)، فضرب الرجل بمؤخرة المسدس على رأسه فسقط الرجل مغشيًا عليه، أحتدم وجه (صالح) غاضباً، فصاح:

- لِمَ فعلت ذلك يا غبى؟!

لم يُصدق (يوسف) ما سمعه، فسأله بهدوء وغضب كامن:

- ماذا قلت؟

دنا (صالح) منه، فصرخ مرة أخرى بقرب أذنه:
- لِمَر.. فَعلت.. ذلك.. يا.. غَبى؟!!!
حَدج (يوسف) (صالح) بنظرات مُريبة، لم يرتعب منها (صالح) بل نظر فى عينه، هَدأ (يوسف) تماماً، ففتح (يوسف) الورقة وقرأ ما بداخلها:
- هل تَودون المبارزة، ها نحن ننتظركم فى المكان العالي-
أعاد (يوسف) القراءة مُجدداً، فأغمض عيناه، وأخبر (صالح) بقلق غير مُتناه:
- إنهم ينتظرونا، فى الطابق الأول من البناية التى فوقنا.
* * * * *
بُيد لهم أن النهاية إقتربت.. وأن الإنتقام أيضًا إقترب.. لكنهم لم يعرفوا، ولم يروا الصورة بأكملها.
تَربصا أمام الباب، مُنتظران إشارة البدء، نَظر (يوسف) إلى صاحبه، مُمسكًا مسدسه ومصوبه ناحية الباب، بالرغم من أنهم يأبوا الخوف، إلا أن بأعماق أعماقهم، الخوف والهلع يتربعان على عرشٍ من ذهب، رَجع (يوسف) لكى يَقتحم ويكسر الباب.. قابضًا على مُسدسه كأبٍ يَحمى طفله من أخطار الدُنيا.
رَكض (يوسف) ناحية الباب، الحظ العسر دومًا معه، لقد كان الباب مَفتوحًا، سَقط على ذراعه الأيمن فشعر بأنه أنكسر، تَحرك (صالح) من خلفه ليعاونه على النهوض، مَد يد العون له، فإذا به يَرى الشقة المظلمة، الشقة التى ستكون فيها المواجهة الأولى.. والأخيرة!
رأى (صالح) أركان الشقة، لم يَكن بها شيء مُثير للإهتمام أبدًا، كانت مُظلمة تمامًا، فقط هواء يَزج الستائر الموجودة لتستر الشباك، عندما دَقق النظر، رأى شخصًا ما جالسًا على مقعد، يُعطى لهم ظهره، تاركًا يده اليمنى تَجوس فى الظلام.

هل من الممكن أن يكون هذا (عباس)؟!، تَحرك (يوسف) بمساعدة صديقه فى الكارثة، شعر بالألم، ثم نساه مُسرعًا عندما رأى ذلك الشخص الجالس فى الظلام، يَسمع صوته الذى لم يَنساه أبدًا:

- لم أكن أتصور أن أراكم بعد طيلة هذه المُدة..

قَهقه هازئًا، وأستطرد:

- وَصلتما لذلك الطريق أخيرًا.. بعد إنتظار دام كثيرًا.. أكثر مما تتخيلون.

إقتربا منه بشدة، فرأو وجهه، رقعة العين، الشعر الأبيض، الوجه المليء بالتجاعيد، كان مُرتديًا حُلة سوداء، حذاء مُلمع، رابطة عُنق أنيقة.

صوب (يوسف) المُسدس تجاه رأسه بهمجية، قال والألم يعتصره كقطعة إسفنج:

- أنت.. أنت أيها الوغد من دَمرت حياتنا..

جَهز (يوسف) المُسدس لإطلاق طلقاته، لكن (صالح) أوقفه فى اللحظة الأخيرة، صرخ فيه قائلاً:

- أتريده أن يَموت دون أن نفهم!!، هل أنت غبي؟!

هادئ الأعصاب كان، يُحاول أن يَصبر، يُحاول أن يتمهل، وسينتقم..

نَهض (عباس) من مكانه هادئًا، فقال لهم دون أن ينظر خلفه:

- إتبعونى.

سار (عباس) فى رواق كبير، يسير بنشاط غير عادى، بالرغم من سنه العجوز هذا، لكنه كان يسير كالشباب، نظر (صالح) لـ(يوسف) فى خوف، حاولا أن يهدأن من روع نفسيهما، فقريبًا سيعرفان كُل شيء عن ذلك الشخص الذى قتلهما نفسيًا.

فَتح (عباس) إحدى الأبواب، دَخل ثم أتبعاه، نزلا على درج طويل جدًا، كان ينزل هو دون أن يتوقف للحظة، تلك الأشياء الصغيرة تُقحم عقولهم وتَضع

ديناميت بداخلهم، تتحول تلك الأشياء إلى أسئلة، ولا تتحول الأسئلة أبدًا إلى إجابات..

لم يُصدق (يوسف) نَفسه فى البداية، كان يَظن أنه يَحلم أو ربما يَتخيل، كذلك ظَن (صالح)، أن هذا مُجرد تَخيل، او أن الشيطان يتلاعب بهم.

وَصلا إلى نهاية الدرج، فوجدوا انفسهم بداخل المرآب الواسع، لكن شيء ما إختلف، كانت هُناك بعض الصور لـ(عباس) و...

تلك الفتاة الصغيرة!

تلك الصورة التى رآها (يوسف) من قبل، رآها فى الشقة التى قابله فيها، صورة أخرى لـ(عباس) ومعه سيدة، إذًا.. تلك السيدة وتلك الفتاة.. هما زوجته وإبنته!

- لا تتعجل يا (يوسف)، بعد نصف ساعة من الأن ستكون عالمًا بكُل شيء..

نَظر (صالح) لهما، فوجد(عباس) يبتسم كالشيطان، فقال لهما بصوت عال:

- حسنًا.. تودون معرفة القصة بأكملها أم جُزءً منها فقط!

لم يُجيب عليه أحدًا، إبتسم لهم فى غيظ، ثم تحولت تلك النظرات الهازئة إلى نظرات جَديّة، بها الكثير من الألم..

عاد (عباس) بذاكرته كثيرًا.. وبدأ يَقص عليهم حكايته، مُنذ عشرون عامًا مَضوا.

* * * * *

# الفصل التاسع

لم تكن ليلة هادئة كباقى الأيام، بل كانت ليلة عاصفة، شديدة البرودة، السماء تُذرف دموعها، تلك هى الليلة الأظلم فى حياتى كُلها.

إقتحام مَنزل فى الرابعة فجرًا، ليس بالأمر الجلل، لكن قَتل نفس.. إنهاء حياة روح مهما بلغ إثمها، شيء صعب أليس كذلك!

يَكفى أن ضميرك وعقلك لن يتوقفا أبدًا عن جعلك خاطئًا، وأن ما فعلته من الصعب غفرانه ونسيانها، ذلك الشعور القذر الذى يجتاحك عندما تُفجر رأس إنسانًا.

توقفت سيارتنا، انا و(صادق) ورجلين آخرين، أمام منزل أحد رجال الأعمال الفاسدين- كما قالوا لى - ، إقتحمنا المنزل عُنوة، ثم دَخلنا إلى ذلك المنزل، نُصوب أسلحتنا فى كُل مكان، خوفًا من أن يقتلنا أحدًا، دخلنا غُرفة لذلك الرجل الذى يُدعى (سامى)، وجدناه يُضاجع فتاة، صوب كبيرنا (صادق) المُسدس على رأسه وقال له بلهجة مُتوعدة:

- قُم يا أبن الزانية.. تُضاجع فتاة فى عُمر بناتك..

نهض الرجل مُتجردًا من ملابسه، عاريًا كما أنجبته أمه، واقفًا أمامنا، كانت الفتاة تَبكى، تركها (صادق) تذهب، فهى فى كُل الأحوال لن تستطيع التعرف على أحد منا لأننا نرتدى أقنعة سوداء، جَثى الرجل على رُكبتيه صارخًا، كان عجوزًا هزيلاً، لم يتبق له فى الدُنيا سوى أيام قلائل.

وَجدنا (سامى) يتوسل إلينا باكيًا، أشفقت على الرجل، فأنا لم أرى أحدًا يتوسل إليّ قبل ذلك، تركونى جميعهم للبحث عن أشياء فى منزل الرجل الفخم، فسمعت صوته يقول لي:

- ما رأيك أن تقتلهم، وسأعطيك ثلاثة ملايين جُنيه..

صُدمت من العرض، لكنى لم أحفل ولم اعير له إهتمامًا، وَجدته يقول لي بتوسل:

- أرجوك لا تتركنى هكذا، من الواضح أنك طيب القلب، سأعطيك كُل ما تتمناه مُقابل أن تتركنى أعيش..

كانت يدا الرجل تَزحف نَحو شيء ما فى الخلف، شعرت بالرهبة ولم أستطع فعل أى شيء، وَجدته يُخرج مُسدسه ويصوبه تجاهى، فلم أستطع منع مُسدسى من إطلاق رصاصته التى فَجرت رأسه بالكامل.

جَزعت، وأتى صوت صفير صغير يُحدق فى أذنى، يَطل على مسامعى، شعرت بالدوار، الذنب.. الذنب.. لم تنتهى عُقدة الذنب إلى الأن.

وَجدت (صادق) ومن معه يأتون، تركنا كُل شيء وذهبنا نَحو السيارة، كان (صادق) يسندنى، كان يعرف حَجم صدمتى فى نفسى، لم أصدق أنى فعلت هذا.. لكنى أستحق، فأنا من سَلكت طريق الشر منذ البداية، لم يُجبرنى أحدًا على الدخول به.

دَخلنا السيارة وإبتعدنا عن المنزل، إمتلأت ملابسى بالدماء، لم أكن أدرى أى

شيء من حولى، فوجدت (صادق) يُربت على كَتفى، يُخبرنى:
- لا عليك.. كُلنا وَقعنا فى هذا الإختبار.
كان (صادق) طيبًا، بالرغم من أنه يعمل قاتل مأجور، مُهرب أسلحة، إلا أن بداخله طيبة فطرية لم تتسخ بأفعاله بعد، قال لي فى تؤدة:
- ستندم قليلاً، ستحزن على نفسك، ستشعر وأن قلبك يود أن يَخرج من قفصه الصدرى، لكنك فى النهاية ستعتاد فعل هذا، ولن تخلد لفراشك مُستريح، إلا ويدك قد تلطخت بدماء أحدهم.
كان يَضحك، مُحاولاً تخفيف الألم منى، لكنه لم يَستطع، فأستطرد وعلامات الأسف فى وجهه:
- لاعليك يا صاحبى، صدقنى كُلنا مررنا بتلك اللحظة العاهرة.
إتخذت قرارى سريعًا، فقلت له دون أن أنظر ناحيته:
- أنا سأخرج عن العمل.. لن أعمل فى ذلك المجال ثانية.
وكأنى كَفرت بالله فى مُنتصف طريق يعج بالمارة، رأيت جميع من بداخل السيارة يحُدقون بي، فوجدت (صادق) يُحذرنى:
- إسمع جيدًا.. تلك الجملة لا تقولها ثانيةً، ستسأل لماذا!، فسأجيبك أن كُلنا قررنا نفس قرارك، وكُنا واثقين من أنه القرار الصحيح، لكن ليس هذا بالأمر البسيط..
نَظر إلى وجهى العابس، فأستطرد:
- من قرر الخروج من ذلك العمل لم ينل سوى نهايتين، الأولى، الموت، الثانية، القتل، ستسألنى ما الفرق بين الإثنين!، فسأجيبك أن، الموت هو أن تذهب روحك إلى السماء، أما القتل، فهو أن تذهب روحك إلى السماء وهى بداخلك، قَتل كُل شيء فى أعماقك دون أن تَمس شعرة منك..

بدأت أفهم مقصده، فقلت له فى دهشة:

- لكنى قتلت!

فأجابنى مُتجهمًا:

- كُلنا قَتلنا، وكُلنا أرقنا الدماء، أنت تشعر بالذنب لأنها المرة الأولى لك، وكُلنا شعرنا بالذنب وشعرنا بأن ضميرنا سوف يقتلنا، وكُلنا لم نستطع النوم، لكننا أصبحنا بخير، وأكملنا عملنا على أتم وجه!

توقفت السيارة أمام القصر الخاص بالرئيس، نَزلنا منها تباعًا، فوجدت (صادق) يَنظر لى، أومأت برأسى لكى أريح عقله وعقلى، ثم دَخلنا إلى القصر الكبير.

وَصلنا إلى تلك الحديقة، وعندما وَقفنا عند بوابة الحديقة لكى يستأذن رجل الأمن الرئيس، سمعت صوت الرئيس يخبرنا:

- تعالوا يا رجالة.

تَدفقنا داخل الحديقة الخضراء، فوجدت (صادق) يَتجه نَحو الرئيس مُبادرًا:

- رئيسنا ومعلمنا وأبونا.

فينحنى (صادق) ليُقبل يَد الرئيس (حسين)، كان الرئيس معه فتاتين، يرتديان ملابس خليعة، أو لا يرتديان أصلاً، كان يُقبل واحدة ويتحسس بأطرافه على الأخرى، لم أرتاح لرؤية ذلك الرجل أبدًا.

سأل (حسين):

- ما الأخبار يا رجال، قطعتوا رأس العصفور؟!

فأقترب (صادق) من إحدى الفتاتين، يبتسم لها غامزًا بعينه:

- نعم، وكان يتأوه من الألم.

ضَحكت الفتاة ضحكة خليعة، فأبتسم الرئيس بارزًا أسنانه، كان شخصًا عجوزًا، شعره أبيض ومجعد، له شارب أبيض اللون ولحية خفيفة للغاية، مُرتديًا بذلة

كُحلية اللون، وَجدته يَنظر إليّ مُتعجبًا، فسأل (صادق) مُبتسمًا:

- ماذا فعل بطلنا اليوم يا (صادق)؟

إرتبك (صادق) قليلاً لكنه عاود الثقة بنفسه، فأردف:

- كان.. كان أشجعنا اليوم، فهو من قتل الزانى أبن الزانية.

صَفق (حسين) بحرارة لى، كُنت أريد أن أبصق فى الأرض، لكنى شعرت بالخوف ياكلنى، إبتسمت له مُجاملاً، فقال لـ(صادق) مُشيرًا إليّ:

- (صادق).. أعطيه مُكافأة غدًا.

إبتسم (صادق) فَرحًا، فتكلمت أنا بصوت خَفيض:

- لكنى لا أريدها.

تَعجب (حسين) قليلاً، فقال:

- ما الذى لا تُريده!

نَظرت إلى عينه، ولا أعلم كيف جائتنى القدرة لأفعل هذا:

- لا أريد مكافئاتك..

فَرقع بإصبعه، فَتحركت الفتاتان بعيدًا عن الجمع، نَظر إلى مؤخراتهن، فوضع إصبعه فى لسانه وقال:

- قشطة..

لِذت بالصمت، فوجدت (صادق) غاضبًا، يُرمقنى لكى أهدأ، لكنى لم أهدأ أبدًا، قُلت له بصوت عال:

- أنا لا أريد أن أستمر فى العمل يا (حسين) باشا.. ومستعد تمام الإستعداد لدفع جزاء كلامى هذا.

صمت (حسين) قليلاً، ثم أنفجر ضاحكًا هو وحاشيته بإستثناء (صادق)، شعرت بقلبى توقف عن الخفق، فسمعت (حسين)يقول بين ضحكاته:

- هل تود أن تَخرج من عملنا؟!! يالها من نكتة قبيحة.
شعرت بالإهانة والذل، فلم أتحرك قيد أنملة، بل ظللت صامتًا أتحمل الإهانة، وَجدته يتحدث فى جدية:
- كُن رجلاً يا ولد.. أنت لست بفتاة تم إغتصابها!
لم أفهم المغزى من جملته الأخيرة، لكنى قُلت له بثقة لم أعهدها قط:
- أنا رجلاً، ولن أعمل ذلك العمل البشع هذا ثانيةً.
اومأ (حسين) برأسه، فنهض من مكانه وأقترب منى، كانت أنفاسه على مقربة من أنفى، فقال لي:
- إذًا.. من الجيد أن تَذهب الأن.. وأراك فى الصباح تعتذر لي.. أو.
إستدار عائدًا نَحو الطاولة التى أمامه، إلتقط منها تفاحة حمراء، قَضم منها قضمة ، فأستطرد:
- سآتى لك فى صباح الغد كى أقبل زوجتك من فمها، أما إبنتك، فسأجعل أبنى الصغير يتصرف معها، فهما صغار مثل بعضهما.
إنتفضت إثر تلك الكلمات، فهرولت بعيدًا عن (حسين)، كُل ما يدور بخلدى فقط زوجتى وإبنتى، يَجب أن أحميهم من (حسين) ومن شره.
خَرجت من القصر مُهرولاً، إستقليت سيارتى التى أركنها خارج القصر دومًا قبل أى عملية، لكنى سَمعت صوت فتاة يأتى من خارج السيارة:
- أولن تجعلنى افعل حوار صحفى مع الأستاذ (حسين كامل)؟
نَظرت لها، كانت فتاة لزجة، أمقتها بشدة، إنها لا تنام أبدًا!، الساعة الخامسة فجرًا وتحاول الإمساك بي كى أجعلها تقوم بحوار صحفى مع رجل الأعمال المعروف (حسين كامل)..
تُراقبنى اينما ذهبت، وتظننى أستطع القيام بذلك العمل، لكنها لا تعرف أننى لن

أستطيع القدوم هُنا مُجددًا، فقلت لها بنفاذ صبر:
- إبتعدى عنى تلك الساعة، الله يبارك لك.
كان أسمها (نهال)، فقالت لى:
- انا أراقبك منذ بضعة ساعات، وتلك الدماء التى على ملابسك تم تصويرها، بعد ثلاثة أيام من الأن، إذا لم أراك تقدم لى ميعادًا للذهاب إلى الأستاذ (حسين)، ستكون تلك الصور مَنشورة على كُل الجرائد..
تظاهرت بالضحك الشديد، فوجدتها تتعجب، ثم قُلت لها بهدوء:
- هل هذا سيكون دليلاً قاطعًا على أنى قتلت أحدهم مَثلاً!، أنتِ غبية يا (نهال)، فكرى قليلاً قبل أن تفعلى شيئًا، فليس هُناك أى دليل عليّ، أنشرى على راحتك، لكنك فى النهاية ستخسرينى، وستخسرين (حسين كامل) رجل الأعمال المعروف الذى لا تستطيع أى جريدة الوصول له والقيام معه بحوار صحفى.
تَحركت بالسيارة بعيدًا عنها، فوجدتها واقفة أمام القصر، تَنظر إلى أى خيط يقودها نَحو (حسين)..

* * * * *

جَرفت المياه القاذورات الموشومة على جسدى، تنزل إلى المجاري لتتلاقى مع قاذورات أخرى لأشخاص أُخر، كانت زوجتى نائمة، وإبنتى كذلك.. أنا لم أكن خائفًا على نفسى، بل كُنت خائفًا على زوجتى، تَنفست فخرج البخار من فمى، حاملاً معه خوفى وآلامى.
خَرجت من حوض الإستحمام، نَشفت جَسدى بالمنشفة الناعمة، إرتديت ملابسى، ثم خَرجت من الحمام تمامًا، دَخلت فى البداية إلى غُرفة إبنتى التى كانت نائمة، تمامًا مثل الملائكة، إبتسمت فور رؤيتى لها، إقتربت منها ونِمت بجانبها، حَضنتها برفق، فوجدتها تقول بصوت خفيض:

- إشتقت إليك.
قبلتها من رأسها، ثم أضأت ضوء الأباجورة الخافت، وقلت لها غامضًا عيناى:
- لن تشتاقى إليّ مجددًا، فستملين من رؤيتى يا سيدتى.
إستدارت لى وضَحكت، شعرت بالسعادة الشديدة عندما ظهرت أسنانها البيضاء، كانت إبتسامتها تُبعث الحياة بداخلى، تعطينى بارقة أمل، سألتنى:
- هل سنذهب فى أجازة؟!
لثمت يدها بقبلة، فأردفت:
- نعم أجازة، لكنها أجازة ستطول جدًا، سنسافر إلى جدتك فى الفيوم..
إبتسمت وظهرت إمارات الفرحة جليًا على وجهها، كانت (سلمى) هى روحى، لا أستطيع البعد عنها يوم واحد، إنها إبنتى التى رزقنى الله بها بعد عامي الثانى من زواجى من حبيبتى (مريم)..
خَرجت من غُرفة إبنتى بعدما حَكيت لها قصة كى تَخلد إلى النوم كما كانت، وأتجهت نحو غرفتنا أنا و (مريم)، تلك الشقة كانت اول مكافأت (حسين) لي، ثم أتيت السيارة، ولأننى لم أستطع القيادة، كَرهت أن أتعلمها، جلبت سائق خاص من موقف عبود، يعمل عندى يوميًا، كان رجلاً صالحًا يُدعى (زايد)، عَلمنى القيادة، فأصبحت ماهرًا فيها، لكن خشيت أن أطرده من العمل، فجعلته يقود زوجتى أو إبنتى إلى وجهتهما.
الشقة كانت واسعة وبها ثلاث غُرف، كانت كاملة من كُل شيء، أجهزة وفَرش وأدوات منزلية، كُل شيء كان جاهزًا، دَخلت الغرفة التى تنام فيها (مريم) عُنوة، فكما هى عادتها، تترك ضوء الأباجورة مفتوحًا لأنها تَخشى النوم بمفردها، إبتسمت، فدخلت إلى الفراش، قَبلت كتفها، لم تستيقظ، بدأت أداعب شعرها الأشقر، فسمعت صوتها يُخرف، ضحكت لأجل صوتها وهى نائمة، فأحتضنتها،

ثم أستيقظت أخيرًا.. ضربتنى برفق على وجهى مازحة، فنظرت لها بهدوء وقبلت يدها، سألتنى:

- ما هذه الرومانسية التى نزلت عليك فجأة يا سيد (عباس)؟!

كانت تقولها مازحة، تشاجرت معها بضرب خفيف على الوجه واليد، وعندما أهَلكنا التعب، نمنا على السرير فى إستسلام تام، ثم قُلت لها مُحاولاً أن أنسى ما حدث اليوم:

- غَدًا سنذهب إلى الفيوم لرؤية أمى، وستأتى معى أنتِ و(سلمى).. إنها تود رؤيتكما.

إبتسمت (مريم) بدورها، ثم سرعان ما خلدت للنوم، لكن أنا ظللت جالسًا، مُحملقًا فى السقف، أحاول ترتيب أمورى، ثم ماذا بعد الذهاب إلى الفيوم؟

سأختبأ عند أمى بضعة أيام، سأخرج من عندها فورًا إلى المطار أحجز ثلاث تذاكر إلى أى مكان بعيد عن ذلك البلد، سأهرب بعيدًا.. هذا كُل ما أريده..

لم أُفكر كثيرًا، لأنى خَلدت إلى النوم، تاركًا ما وراءى من هموم تلاحقنى، كبحرٍ بلا شواطئ..

* * * * *

عندما وَصلت الساعة إلى الثامنة مساءً بسلام، تَحركنا انا وعائلتى صوب سيارتى، كان الجو هادئًا، وكأنه لا يَمت للواقع بصلة، شعرت بالراحة تَغزو جسدى، هل نسانى (حسين)؟! ام إنه يَضع خطة إنتقام باردة؟!

وَجدت (زايد)، ذلك الرجل الطيب الصالح، الذى يرتدى جلباب رصاصى دومًا، لحيته البيضاء، وَجهه الذى يَشع نورًا، إبتسامته البراقة الجاذبة للأضواء من حوله، كان رجلاً طيبًا.. وصالحًا، حتى أن عنده أبن أسمه (صالح)..

وَضعنا الحقائب فى السيارة من الخلف كى لا تأخذ مكانًا، أحسست بشيء ما تجاه

(زايد)، أهو مريض؟!، حَرجت أن أسأله، دَخلنا السيارة وجَلست أنا بجوار (زايد)، أما زوجتى وإبنتى جلسوا فى الخلف.

قُلت للحاج (زايد):

- توكل على الله يا حاج، سَمي الله وأنطلق.

أومأ (زايد) برأسه، رأيت العرق يتصبب من جبهته، فسارت السيارة بعيدًا عن المنزل، وَجدت إبنتى تَصرخ صرخة صَمت أذانى، نَظرت لها مُتسائلاً، فقالت فى حُزن طفولى:

- لن نعود، لن نعود..

إبتسمت لها وطمأنتها قدر الإمكان، لكنها كانت قلقة، فقلت لها:

- سلمى.. حلوتى.. أنظرى لي.

عندما نَظرت، حَولت عيناى وأخرجت لسانى فوجدتها تَضحك ، كانت تعشق رؤيتى بتلك الهيئة، وَجدت (مريم) تَنظر لي مُبتسمة، كُنت أحب أن أراها بذلك الحجاب الكامل، وجهها القمرى، فمها الضيق، عيناها العسليان، كانت خير عونٍ لي فى تلك الدُنيا.

سَمعت صوت الحاج (زايد) يَسعل بشدة، فسألته:

- ما بك يا حاج؟!، توقف وسأشترى لك دواء.. حرارتك تبدو وكأنها فى تزايد!

لم يَكن (زايد) على ما يرام حينها، شيء ما خطأ يَحدث!

- لا يا بُنى، لاتقلق فأنا أسعل دومًا..

أومأت برأسى، غير مُطمئنًا، أشعر بالخيانة تَفوح منه، لكن ليس هذا بالأمر الجلل، مَرت ساعة فى الطريق الصحراوى الواسع، وَجدت الحاج (زايد) يُزود سرعته بطريقة مُبالغ فيها، العرق يتصبب من وجهه أكثر فأكثر، شعرت بالقلق الفادح فقلت له بتعجل:

- إهدأ يا حاج (زايد)!!

لكنه لم يَهدأ، بل زادت سرعته رويدًا رويدًا، إلى ان وصلت لـ١٦ ك/س، صِحت فيه:

- إهدأ يا حاج.. سنموت..

فوجدته يُبطأ سرعته مُجددًا، هدأت قليلاً، فقلت له هازئًا:

- انت سائق ماهر يا حاج، لكنى أشك أن موتى سيكون على يديك.

كان قلقه واضحًا كوضوح الشمس، إبتسم لي، أقصد إدعى الإبتسام، فنظرت خَلفى إلى زوجتى وإبنتى اللذان كانا نائمين، إطمئنيت عليهم، ذلك الوجه الملائكى والشعر الأسود، الإبتسامة الصافية النابعة من جوف القلب، زوجتى التى أحبها بشدة، حُب لا تستطع أن تراه فى وجه إنسان أخر.. أشعر وأنى أمتلك ملكتين فى حياته، إبنتى وزوجتى.. أحبهما حُباً صافياً خالصاً صادقاً، ثم أحسست بخلل فى حركة السيارة، نَظرت إلى الحاج (زايد)، ناديت عليه:

- يا حـــ...

نَظر إليّ، ثم قال:

- أنا أسف..

ثم حوّل طريق السيارة إلى اليمين فجأة ودخلت إلى الصحراء فأنقلبت السيارة عدة إنقلابات متتالية، إلى أن إنقلبت رأساً على عقب وثبتت، هدأت الاوضاع، وهدأ الوجود بغتة..

أول ما سمعته كان صوت (زايد) يَسعل بشدة، صوت إنكسار زجاج السيارة، نَظرت بصعوبة له، وجدته يَصرخ من شدة الألم، واضح أن هُناك ذراعٍ أو قدمٍ كُسر له.

أول ما خَطر ببالى زوجتى وإبنتى، لم أفكر حتى فى نفسى، حتى ذلك الخدش الذى

أصاب عينى، لم أشعر به، فقط أريد أن أرى زوجتى وإبنتى، دفعت قدمى نَحو زجاج السيارة الهزيل، حاولت كَسره مَرة وإثنان وثلاث، لكنه لم يَنكسر.
وَضعت قدمى على الزجاج، أرجعتها بقوةشديدة ودفعتها نحو الزجاج فتهشم، خَرجت من السيارة بعد معاناة، فَهمت أن (حسين) إتفق مع (زايد) على أن يقلبوا سيارتى، مقابل أن يعطوا (زايد) مبلغًا من المال..
لا يوجد حَلٍ آخر على إنتقام (حسين) منى، الكارثة أنى لا أرى بعينى اليُمنى، لقد فقأت وأنا لم أشعر بها، زحفت بصعوبة نَحو الباب الثانى من السيارة، وجدت زجاجه مُهشم بالكامل، شعرت بقلبى ينتفض، تَنفست بصعوبة، أخذت أنادى مُحاولاً الوصول إليهم:
- مَريم..
لم أجد ردًا، كذبت أذناى، قُلت بالتأكيد ردوا لكنى لا أسمع، ناديت مُجددًا والإصرار يملؤنى:
- مَريم...
لم أسمع صوتها، إقتحمت السيارة من الداخل ، مددت يَدى للوصول إلى احدهم، لكنى عندما وَضعت يدى وَجدت شيء لزج بها، أخرجتها لكى أرى ما هذا.. كانت دماء.
صَرخت، ناديت مَرة أخرى وعيناى تُمطر دموعًا:
- يا سلمى...
وضعت يدى مرة أخرى على صدر إبنتى الصغيرة التى لم أستطع رؤيتها للمرة الأخيرة، وَجدت قلبها يعلن إستسلامه التام، ماتت إبنتى.. وزوجتى..
بَكيت بحرقة، لم أصدق ان هذا قد حَدث فعلاً، إنه خيال.. خيالٍ ولا يَمت للحقيقةبصلة، سأستيقظ الأن على فراشى لأجدها بجانبى، تُداعب رأسى، يدى ،

أطلقت صرخة عالية، لقد ماتا وتركونى وحدى..

سَمعت صوت (زايد) يقول لي بحشرجة:

- إهرب فإنهم سيأتوا لقتلك..

أكدت تلك الجملة ماكُنت أفكر فيه، نَهضت من مكانى وأنا لا أود الذهاب، لا أود أن أترك جثتهما وحدهما، بَكيت بدلاً من الدموع دماءًا، ماتت من كُنت أحبها منذ عشرة أعوام.. وماتت فلذة كَبدي..

يا الله.. يا الله..

ذهبت بعيدًا عن السيارة، أتذكر ما كان بيننا، أتذكر ذلك الحُب، يوم زواجنا، يوم عَلمنا أن هُناك طفل قادم فى الطريق..

كُنت أركض كالمجنون، تَسقط دموعى ودماءى على الأرض، نَظرت خلفى فى محاولة للإطلاع، وَجدت سيارة تقترب منى، إرتحت قليلاً عندما عَلمت أنى سألحق بهما، بزوجتى وإبنتى، بالتأكيد رجال (حسين) أتوا لقتلى، وتلك السيارة بها رجال (حسين)..

هَرولت قدر الإمكان وحاولت الإبتعاد عن السيارة لكنها حاصرتنى بسهولة، فُتح لى الباب دون إنذار، نَظرت إلى السائق فصُدمت..

كانت السائقة هى الصحفية (نهال)، كيف أتت هُنا ولِمَ؟!!

قالت لى بتعجل:

- هُناك أربعة أشخاص يقفون هُناك فى مكان الحادث، قَتلوا شخصًا ما كان يزحف على الأرض، ويبحثون عنك..

نَظرت حولى، نَظرت إلى مكان الحادث، أغمضت عينى فى سلام، فدخلت السيارة وأنطلقت..بعيدًا عن مكان الحادث.. ولم أشعر بأى شيء بعدها.

* * * * *

إستيقظت فى مكان غَريب.. رأيت بعين واحدة ذلك المكان وما يحوطه من لوح وفنيات، نَظرت إلى تلك الفتاة الشاخصة أمامى، التى لم أصدق أبدًا أن تلك هى من أنقذت حياتى..

عينى اليمنى قد فقأت، ذهبت زوجتى وإبنتى، لِمَ كُل هذا حَدث فجأة؟!!، كُل هذا حَدث بسبب خطيئة صغيرة إرتكبتها؟!، لماذا يا الله؟!!

سألت الله كثيرًا ما حكمته فى هذا؟!، هل يود أن يجعلنى نادمًا على ما فعلت!، أخذت نفسًا عميقًا، ثم سألت تلك الفتاة:

- ما الذى جَلبك إلى مكان الحادث؟

كَانت الكلمات تُمزق أربطة صوتى، أتحدث ببطء شديد، ليس من الألم.. بل من الحُزن.. بل من الفقدان..قالت لي بصوت مُنخفض كى لا تزعجنى:

- أنا أُراقبك أينما ذهبت منذ أربعة أيام، لم أغفل عنك ولو حتى للحظة.

ضَحكت (نهال) ضحكة خافتة، فذرفت دمعة من عينى اليُسرى، ثم قُلت لـ(نهال):

- لو لم تَكنِ موجودة فى مكان الحادث لما نُقذت، ليت الحادثة قضت عليّ قبل القضاء عليهم يا (نهال)..

مَسحت دموعى بسرعة، فوجدتها تُشفق عليّ، قُلت لها:

- أرجوك، لا أود أن أشعر بهذا مُجددًا..

فَهمت (نهال) مقصدى، فتركتنى وَحدى فى الغرفة، تأملت كُل شيء فى الغرفة، كانت مُهتمية بالديكور بشدة، الحوائط ليس لها نفس اللون، بل كان لكُل رُكن شَكل مُعين، الغريب أن الحائط كان عبارة عن لوحة فنية رُسمت بيد فنانة.

كانت الغرفة نظيفة، خالية من الأشياء الثمينة والرخيصة فى آن واحد، غُرفة نوم عادية..

جاءت (نهال) مرة أخرى ومعها صينية مليئة بالطعام، فراخ مشوية وأرز وشوربة، كانت تودنى أن آكل، لكنى لم أكن فى حالة تَسمح لذلك.. أنا فى حالة تَسمح لشيء واحد.. الإنتقام من قَتلة إبنتى وزوجتى..

إما الإنتقام أو الموت، لا شيء غيرهما.

كان وجهها عاديًا، لم تكن بالسيدة صاحبة الجمال الفائق، ولَم تكن بالسيدة صاحبة البشاعة المُطلقة، كانت مُتوسطة، لم تَكن تضع أى مستحضرات تجميل على وجهها، كان شعرها أسود اللون، عيناها عسليان، جسدها كان مَضبوطًا، ليس سمينًا ولا نحيفًا.. كان متوسطًا، سألتها عنها، من هي، فأجابت:

- أنا إسمى (نهال شريف)، تَخرجت من كُلية إعلام مُنذ خمسة أعوام، تَزوجت ورزقنى الله بفتاة، وفى العام الثالث لزواجى، توفى زوجى إثر أزمة قلبية حادة.

صمتت قليلاً، فقلت لها:

- اسف.. البقاء لله.

شعرت بالإحراج قليلاً، لكنها إستطردت:

- عَملت فى جريدة بإسم (النهار)، وكانت مهمتى الحوارات مع الأشخاص الهامة، فكما يقول عنى رئيس التحرير، لبقة فى الحديث وسريعة البديهة.. لذلك قرر أن يضعنى فى قسم الحوار.

اومأت برأسى مُتفهمًا، فسألتها:

- إذًا أين إبنتك؟!

نَهضت من مكانها، خَرجت من الغرفة تمامًا لكى تَحضرها، بدأت أفكر فى شيء ما، فناديت عليها، هى الوحيدة التى ستستطيع فعل هذا، جلبت إبنتها الصغيرة، كان عُمرها فى نفس عمر (سلمى).. رحمها الله..

ستة أعوام بالضبط، إبتسمت لها، وجهها يشبه وَجه (سلمى).. إنى أرى إبنتى

أمامى الأن، إقتربت منى الفتاة الصغيرة بخوف، فسألتها برقة:
- يا حبيبتى..ما أسمك!
كانت خائفة منى جدًا، فتحسست شعرها الأسود بهدوء، فقالت لي:
- رشا..
لثمت رأسها بقبلة، وذهبت مُسرعة إلى أحضان أمها، وَضعتها مَرة أخرى فى غرفتها وأتت إليّ بسرعة، جَلست على طرف السرير، فقُلت لها مُسرعًا:
- بإمكانك الإعلان عن خبر وفاة، أليس كذلك؟!
لم تَفهم، فوضحت لها:
- ما رأيك لو نشرتى خَبر فى الجريدة تقولين فيه ان تم قَتلى وقَتل العائلة، حادثة مروعة على طريق القاهرة الفيوم الصحراوى، وتكتبين بها التفاصيل!
إبتسمت، فدنت منى وتحدثت بهدوء:
- بإمكانى أن أفعل هذا، لكن ماذا سأستفيد؟!
هَدأت من روعى، فتكلمت وعلى وجهى إبتسامة مريبة:
- عندما تَمر السنين، ستعرفين ما الذى سأفيده لك..

* * * * *

مَر عام..
وَضعت خُطة مُحكمة، رسمتها مع (نهال)، صديقتى ورفيقة الدرب، كُنت أعلم أنها تُحبنى، لكنى لم أبين لها هذا، قررت أن أكون أنا الرئيس على الكثير من الناس.. لكى يعملوا تحت طوعى ومعى.
وهذا ما حدث، فى أقل من شهرين كان عندى عشرون رجلاً، يعملون لحساب الرئيس (عباس)..
جاء أول حدث فى خطة الإنتقام..

١- قَتل (حسين كامل)..

قُلت لرجالى، هُناك شخص ما، يسفك الدماء، يزنى، يشرب الخمر، يتاجر فى السلاح، يجب أن ننهى عليه قبل أن ينهى ذلك الرجل على كُل شيء فى ذلك البلد..

إخترت سبعة من الأكفاء، وأنطلقوا نَحو القصر المُحصن بالأمن، لكنهم كانوا أذكياء وأستطاعوا الدخول إلى القصر وقَتل (حسين) فى سريره، عدة طعنات والدماء تَنخرط من جسده، كما قال لى أحد رجالى، لقد رآهم طفل صغير.. لكنهم لم يفعلون له شيء..

وكان هذا هو المطلوب، ذلك الطفل هو (يوسف حسين)، أبن (حسين كامل)، خطئوا عندما جعلوا ذلك الطفل يراهم، وخطئهم الأكبر، أنهم لم يرتدوا أقنعة..

بالتأكيد سينتقم، لكن مَتى؟!، ذلك شيء غير معلوم.

كانت (نهال) تعلم أن الإنتقام سيكون إنتقامًا من الأبناء، وليس من الأباء، كانت تظن أن تلك فكرة خاطئة، ما ذنب الصغار فى خطأ إقترفه الكبار؟!

كُنت دومًا أجبها،أن ما فعلوه أباؤهم يجب أن يُرد عَليه، يجب أن ينتقم من أباؤهم حتى ولو كانوا يُحاسبون عند الله الأن، لكن الإنتقام لن يمت.

ما فعلوه أباؤهم سيُطارد أبناؤهم كالكوابيس دوماً، حتى ولو لم يعرفوا ما أقترفه أباؤهم، يجب أن أشبع رغبة الإنتقام المشحونة بداخلى، لن يهدأ لى بال ولن يَرف لى جُفن إلا وانا أراهما مُتذللين أمامى، يطلبون منى العفو..

إنتهى الجُزء الصغير.. والخطوة الاولى من المخطط الذى رسمته، الخطوة الثانية ستأت بعد عشرة أعوام من الأن..

* * * * *

بعد إنقضاء خمسة عشر عامًا، إستعد جيشى للقيام بالمهمة، قامت (نهال) بتجهيز إبنتها (رشا) للعمل فى شركة (يوسف)، الخطة كانت كمايلى:

- إيقاع (يوسف) فى حُب (رشا)، تَولي (رشا) مَنصب هام فى الشركة، إنفجار الشركة. -

ثلاث خطوات يجب أن تحدث، ذهبت (رشا) إلى الشركة كأى فتاة تود العمل بها، رأها (يوسف)، وافق على أن تكون المساعدة الخاصةبه..

مَرت الأيام حتى أرتقت مكانتها وأنشأ لها مكتبًا خصيصًا بجوار مكتبه لكي يراها فقط، كانت (رشا) تكره (يوسف) بشدة، تود أن تقتله فى كُل لحظة تكون معه فيها.

لكن كُل شيء يأتى بالصبر..

الخطوة الثانية : رؤية (يوسف) لـ(عباس).

فى يوم ما، إتصلت بشركة (يوسف)، ردت عليّ (رشا)، فبعض لحظات سمعت صوت (يوسف)، حاولت اللعب على وَتر الخوف والنفس، ففلح هذا الوتر جدًا معه، وأصبحت ألعب عليه دومًا.

قبل حلول الساعة السابعة، كانت الشقة مُرتبة، بمساعدة أكثر من خمس أشخاص، وَضعوا صورة أبنتى وزوجتى فى مُنتصف الصالة كى يراها، وهذا ما حدث فعلاً:

* * * * *

- إنها إبنة أخى..

سرح (يوسف) فى تفاصيل الصورة، نسيّ نفسه ومن حوله، وأتى صوت (عباس):

- ماتت فى حادثة، هى وأخى وزوجته.

حَزن (يوسف) من قلبه فور سماعه تلك الجملة، فأدار وجهه إلى (عباس) وقال

له بأسف:
- أنا أسف.. رحمهم الله.

* * * * *

هَل تظن أن كلامى معكما كان مُجرد كلام إرتجالى؟!، لا.. بل كان نصًا مكتوبًا ومحفوظًا عن ظهر قلب، كُل جملة فيها موضوعة لسبب ما.. لكنكما لم تتذكران مثلى..

أثناء وجودك معى فى الشقة، ذهب شخصين إلى سيارتك بعدما إشتروا ثلاثة أكياس من الدم الصناعى، كَتبوا تلك الجملة على الزجاج الخارجى لها:

- - أنا معك دومًا يا صديقى الصغير-

كُل التفاصيل التى عرفتها عنك كُنت أعرفها ممن حولك، يعنى مثلاً لما قُلت لك أنك تُحب فتاة أسمها (رشا)،كانت (رشا) تأتى وتبلغنى بكُل شيء.. السبعة أشخاص الذين قتلتهم لأجل إنتقامك، لن أحاسبك عليهم بالرغم من أنهم كانوا من أخير رجالى، الإنتقام أعمى يا صديقى..

فعلت تلك الحيلة لكى أجعلك تَشك فى نفسك، لا أكثر ولا أقل، أجعلك تَقول هل هذا شيطانًا؟!، ام هذا شخص غير طبيعى؟! أم هذا هو أنا؟!

إذا قُلت لك كُل شيء فسأقول الكثير والكثير.. دَعنى أنهى حكاية (صالح) وسأستمع الأسئلة منك..

الخَطوة الاولى للإنتقام من آل صالح، تعليم (صالح) القيادة.

عرفت أن عمك كان يعمل فى الموقف، وأنه يودك أن تعمل معه بحافلة أبيك.

قررت أن أسير خلف عمك (شاكر)، أتبعه اينما ذهب، كان يجلس يوميًا على مقهى عندكم بالحارة لا أذكر إسمها، إلى أن قابل ذلك الشخص الذى كان سيعلمك القيادة.

كُنت جالسًا بجواره، سمعت الحوار بأكمله، فعندما ذهب عمك جَلست أنا أمام الرجل، إتفقت معه ان يتصل بعمك ويبلغه أنه لن يستطع القدوم لأى ظرف. وأعطيته خمسة الاف جنيه، وافق الرجل فورًا، ويوم تعليمك القيادة صباحًا إتصل الرجل به..

عَلمتك القيادة، وَصلتك إلى المنزل، إشتريت لك كمبيوتر لم تستخدمه مَرة واحدة، كُلها أشياء لاقيمةلها، ذلك الكمبيوتر الذى كُنت تظنه هامًا، وهُناك شيء خطير بداخله، أريد أن أقول لك أنه لا يوجد أى شيء بداخل الكمبيوتر هذا..

أثناء سِرقة حافلتك، سرقناها لنضع بها قنابل فقط، وَضعنا مؤقت لإنفجار الحافلة تماماً فى تمام الساعة الرابعة فجرًا، وهذا ما حدث.. إنفجرت الحافلة فى تمام الساعة الرابعة.

قَتلت زوجتك لكى تشعر بنفس شعورى، كُنت أعرف أنك تُحبها حُبًا جمًا، أنا أيضًا كُنت أحب زوجتى حُبًا جمًا، كُنت تظنها خير مُساعد وخير عضد.. أنا كُنت أظن زوجتى خير مساعد وخير عضد..

بإمكانكما السؤال الأن كما تشاؤون.. سأجبكما على كُل سؤال تسألانه.

* * * * *

لِمَ يشعران بالصداع، بالدوار، رغبتهما الملحة فى التقيؤ..

كانا يظنان أن المعرفة ستريحهم، ها قد عرفوا كُل شيء، وزاد الطين بلة، إبتسم (عباس) لهم، فتكلم (صالح) مُتألماً:

- لِماذا فعلت بنا هكذا..

دَخل من الباب الخلفى الكثير من الأشخاص..

(نهال).. (رشا).. الطبيب (شريف).. الوكيل (أشرف).. الشيخ (جلال).. المساعد الخاص به..

كُل أبطال المسرحية كانوا واقفين فى دائرة، يحيطنهما، نَظر (صالح) إلى (يوسف) فى خوف، فأجاب (عباس) على السؤال بهدوء تام:

- لأجل أن أستطيع العيش الدقائق القادمة فى راحة، فى سكينه، لأجل أن أراكما مذلولين أمامى تطلبون منى الرحمة..

أخرج (يوسف) المُسدس من بنطاله وصوبه ناحية (عباس)، أتى من الخلف ومن مكان غير ملعوم، حُراس أمن (عباس) يختطفون منه المُسدس ويمسكونه بشدة..

نَظر (يوسف) إلى (رشا) غير مُصدقًا أن تلك الفتاة التى أحبها، تكون طرف من لعبة الإنتقام القذرة، تكلم (يوسف) بصوت عال:

- لماذا يا (رشا)!

دَمعت عينا (يوسف)، إبتسمت (رشا)بشدة، تشعر بالراحة والسعادة تغمرها، لم تتذكر ذكرى واحدة جيدة معه، من وجهة نظرها إنه هو الشخص الذى ساهم فى قتل الكثير، بسبب تجارته فى السلاح..

ضَحك (صالح)، إرتجت أركان المكان بأصوات ضحكه، لم يَفهم أحدًا لِمَ يضحك، لكن هستيرته فى الضحك كانت مُبالغة فيها..

صَمتوا مُنتظرين أن يتحدث، لكنه سَقط على الأرض إثر ضحكاتها..

عامين من الكوابيس.. عامين من الظلام.. عامين من الخوف والقلق..

كُل هذا حَدث لأجل خطيئة إرتكبها أبوه، ماتت زوجته، حُرقت حافلته، قُتل نفسيًا.. لأجل خطيئة إرتكبها أبوه..

لقد جُن (صالح)..

ذلك هو التفسير المنطقى الوحيد، لقد جُن إثر الصدمات المتلاحقة التى تصعقه، كان (يوسف) يَنظر لـ(صالح)، لم يَكن يعرف أنه سيخاف على شخص

بطريقة مثل هذه، رغم أنه يعرفه من وقت قصير جدًا، لكنه أصبح أكثر من أخيه..

إنقلب (صالح) على ظهره، يضحك مُذرفًا دموعًا، إلى أن نظر بجانبه، وَجد آخر شيء يتوقعه على الإطلاق، وَجد زوجته (نور) جالسة على الأرض، تَنظر إليه مُبتسمة، يتوقف عن الضحك.. ثم ينظر لها مشدوهًا.

يقترب منها زاحفًا على الأرض، وَضع رأسه بهدوء على حجرها الذى لم يَبرد أبدًا، فقال لها، مُغمضًا عيناه، مُبتسمًا بشدة:

- أريد أن أنام يا عزيزتى..

نَظر (يوسف) له، وَجده مَرمي على الأرض وحده، واضعًا يده على خده، يبتسم فَرحًا، ثم أستطرد:

- أريد أن أنام..

صَمت (صالح) تمامًا، لم يَخرج منه صوت، نَظرت (نهال) لـ(صالح)، إقشعر بدنها لأجل رؤيته فى هذا المنظر، لم يَتكلم (عباس) بل كان صامتًا، يُراقب المشهد فى تركيز، سَمع صوت (يوسف) يأت من بعيد، يُنادى بإسم صاحبه، لم يَخرج (صالح) صوتًا، إقترب (يوسف) من صاحبه المُلقى على الأرض.. جَثى على رُكبتيه، أخذ يهمس فى أذنه:

- صالح.. إستيقظ..

لكن (صالح) لم يستيقظ، لم يَسمع أى شيء، وَضع (يوسف) يده على قلب (صالح).. فلم يَسمع أى صوت، وَضع رأسه، أيضًا لم يَسمع صوت..

هَزه برفق وهو يُناديه، صَرخ (يوسف) بإسمه، خَضبت لحيته القصيرة من كثرة البكاء، كان وَجه (صالح) مليئًا بالراحة، هكذا شعر قبل الموت.. الراحة الأبدية.. لقد مات (صالح) دون أن يأخذ بثأره من (عباس)..

خَرج كُل من بالمرآب بإستثناءه هو، و(عباس)، كان (عباس) متوسط المرآب، يَنظر لـ(يوسف)، مُترقبًا، يود أن يعرف ما الذى سيفعله ..

نَهض (يوسف) من أمام (صالح)، كفكف دموعه، إتجه نَحو (عباس)، فقال له مُتسائلاً:

- أود أن أسألك سؤال، الورقة التى كان بها صورة (صالح) ومكتوب بها كلمة - مطلوب- ، كانت مزورة أليس كذلك؟!

اومأ (عباس) برأسه، فأستطرد:

- نحن لسنا مَرضى.. أليس كذلك؟!

أومأ برأسه مُجددًا، فأردف:

- هل تلك النتيجة التى نحن بصداها، راضية بالنسبة لك؟!

إبتسم (عباس)، وقال:

- مُرضية جدًا، بإستثناء شيء واحد فقط..

سَخر من (صالح)، فقال:

- لم أتوقع أن يموت بهذه السرعة..

ذَرف (يوسف) دموعًا على صديقه، فتكلم:

- هل أنا حُر للذهاب؟!

صمت (عباس) طويلاً، إبتسم بشدة، ثم قال:

- لن تخرج من هنا إلا عندما تَفعل شيئًا واحدًا.

لم يَتلهف (يوسف) لسماع ما يُريده (عباس)، أخرج من جيبه مُسدسًا، وصوبه ناحية رأس (يوسف)، إبتسم مُستقبلاً الرصاصة فى ترحاب، فقال (عباس) فى تريث:

- الموت راحة للجميع.. لذلك فأنا لن أجعلك تناله..

أعطاه المُسدس، فسأل (يوسف):

- ما ذنبنا نحن الأبناء؟!

تَجهم وَجه (عباس)، فقال جملة طَرقت فى أذان (يوسف):

- من الممكن ان نُحاسب على أخطاء ليست أخطاءنا.. لكنها فى النهاية تُنسب إلينا.

أخرج (يوسف) خزانة المسدس، وجده فارغًا من الرصاص، ألقى المسدس على الأرض، وأبتعد (عباس) عنه تمامًا، ظَل (يوسف) واقفًا أمام جُثة (صالح)، صاحبه، لا يستطيع فعل أى شيء له، دَمعت عيناه فى حُزن وأسى، ثم قال والدموع تذرف من عيناه بشدة:

- أنا أسف.. لم أستطع فعل أى شيء لك..

حاول حمله والبكاء يعتصره، لم يبك هكذا من قبل، حمله على عاتقيه بصعوبة شديدة، ووَقف أمام بوابة المرآب، سَمع صوت (عباس) يقول له:

- إذا خَرجت..سيتم القبض عليك بتهمة قَتل الطبيب (كامل)..

نَظر (يوسف) له برعب، فأستطرد (عباس):

- أظن أنه من الأفضل أن تظل هُنا.

قهقه (عباس) ضاحكًا، إلى أن إبتعد الصوت عنه تمامًا، وَقف أمام باب المرآب لا يستطع فعل أى شيء، إلتمعت عيناه حُزنًا أكثر من اللازم، لقد دُمر (يوسف).. شعت إمارات وجهه الشجاعة، مَسح دموعه، بدأ يُفكر فى ما الذى سيحدث له عند الخروج، كان خائفًا بشدة، لكنه لم يُبال بدخوله السجن أو إعدامه، فذلك لن يَختلف كثيرًا عن ذلك السجن الذى يعيش به، الشيء الذى يخاف عليه، تلك الجثة التى يحملها بين كاهليه، شعر بالقوة والشجاعة مَرة أخرى.. فَتح باب المرآب.. لم يَجد أحدًا!

كان الطريق مليء بالبشر أمثاله، لا يوجد شُرطة، لا يوجد عقاب!، لقد نَجح (عباس) فى التلاعب الأخير به، حتى وهو يعرف الحقيقة، لازال (عباس) يمتلك القدرة على التلاعب به.

خَرج من المرآب،حاملاً الجُثة بين عاتقيه، سار بعيدًا عن المرآب، الناس ينظرون له، يحاولون معرفة من هذا الشخص، هل هذه جُثة التى يحملها على ظهره؟

كان يبكى كُلما تَذكر شيء له علاقة بـ(صالح)، بالتأكيد هو فى مكان أفضل الأن، يرى الناس الذين يحبهم، سيجلس مع (نور) زوجته.. سيعاتب أبيه على ذلك الخطأ الذى دفع عمره ثمنًا له.

سار (يوسف) بعيدًا عن البشر أجمع.. حاملاً جثة صاحبه على كهله.. يَجمع شُتات نفسه التى تفرقت.. وتلك المرة هى المرة الأولى التى يَشعر فيها بإرتياح.. مُنذ عامين مضوا..

* * * * *

# الفصل العاشر

بدأ (عباس) يسير فى المرآب وحده، صوت أقدامه تُدوي فى الأرض، إبتسامة كبيرة على وجهه، شعور بالفخر والسعادة، شعور بأن كُل شيء فى تلك الحياة لا يُضاهى ما هو به الأن.

خَرج من المرآب بهدوء تام، كان الشارع خالياً من البشر سوى بعض المحتاجين والسيارات التى تسير بسرعة جنونية، أرسل (عباس) ناظريه إلى السماء، أغمض عيناه وتَنفس أخيراً ولأول مرة مُنذ عشرون عاماً وهو يُحب ما يتنفسه، يُحب ما حوله، لكن بغتة، وجد شخص ما يضع يده على بطنه ويتحسسه، نَظر إلى أمامه وجدها فتاة لم يتعد عمرها عشرة أعوام.

نَظر إلى وجهها مليًا، لقد رأى فيها إبنته، فهى بالتأكيد سعيدة الأن لِمَ فعله أباها لها ولأمها، وجد الفتاة تَطلب منه أموال لأنها تُريد ان تأكل، لكنها تطلب بمنتهى الإحترام والود، إبتسم (عباس) لها، وَضع يده بجيوبه بأكملها فأخرج ما يتعدى المئتين جنيه، أمسك بيد الفتاة ووضع بهما المئتين جنيه ثم أغلقهما مرة أخرى، وأخبرها:

- فى المرة القادمة، إصعدى إلى الطابق الأول من تلك البناية، وأطلبى منى أى شيء تُريدينه، ستجدينه عندى..

ذرفت عينا (عباس) دموعًا واهية، فرسمت الفتاة الصغيرة تعبيراً يدل على الحُزن بوجهها، فقالت:

- عمو.. لماذا تبكى؟!

كفكف (عباس) دموعه، فنظر إلى الفتاة، ثم قَبل رأسها بطيبة وحب كبيرين للغاية، إبتسمت الفتاة، فذهبت إلى حيث لا يَدرى (عباس).

صَعد (عباس) إلى شقته فى البناية، وَجد نفسه وحده تماماً بداخل الشقة، لا يوجد أحداً معه، فقط تلك الصور الموجودة على الحوائط، صورة له مع إبنته، صورة له مع زوجته يوم زفافهما، صورة لزوجته وإبنته فقط، صورة لهما جميعاً.

الصور مُكررة على الحائط، وكُلما يَنظر إلى أى صورة فيهم يبتسم، إلى أن تُذرف عيناه بالدموع فيكفكفها وينام، لكن الأن الأمر أصبح مُختلفاً، لقد إنتصر على السبب فى موتهما، وجعلهما يواجهان نفس المصير بطرق مختلفة، لكن الألم والعذاب لا يُفارقانه، عشرون عاماً من دون أن يراهما ولو لوهلة.

يسأل نفسه لِمَ لا يزورونه بداخل الأحلام؟!، هو فقط يتمنى لكن لِمَ لا يَحدث هذا؟!

أمسك (عباس) الصورة الجماعية لهم، على وجهه إبتسامة ودموعاً مَحبوسة كسجين مظلوم، أخذ يتأمل كُل شيء فى تلك الصورة، إلى أن ذهب نحو الأريكة التى يجلس عليها دوماً، لم يغير مكانها مُنذ أن إشترى تلك الشقة، أمام الشرفة مُباشرةً، يرى منها كُل شيء فى العالم الخارجى.

جَلس على الأريكة وفي يديه الصورة، إسترخى بشدة، ونَظر إلى إبنته فى الصورة.

تَذكر..
يوم عَلم أن زوجته (مريم) ستنجب طفلاً.
تَذكر..
يوم أنجبت (مريم) الفتاة وأسماها (سلمى).
تَذكر..
يوم أخذ يقزفها إلى الأعلى ثم يمسكها بيده، فبتستم هى وفى النهاية يُقبلها.
ضَحك والدموع تُذرف بلا نهاية، ضَحك غير مُصدقاً لما هو فيه.
فأغمض عيناه، وبدأ كُل شيء من حوله يختفى بهدوء ويُصبح لونه أسودًا.
إرتطمت الصورة بالأرض بعدما سقطت من يده، ثبتت عيناه، توقف قلبه.
وآخر ما حمله لتلك الدُنيا.. هى دموعاً لن تجف.. أبداً.

**تَمت بحمد الله**

# شُكر خاص :

مَريم أحمد

محمد عصمت

محمود بكرى

نور شومان

محمد صلاح فضل

ضحى إبراهيم توفيق

نسمة الجمل

محمد المصري

* * *

وأخيرًا، شُكر للقراء أجمع، سواء من قَرأ العمل الأول لي (اختلال)، أو من قرأ ذلك العمل فقط، أتمنى أن يكون قد نال ذلك العمل إعجابك قدر الإمكان، ولو كُنت قرأت (اختلال) فأتمنى بشدة أن تجد إختلافات حتى ولو طفيفة فى الأسلوب واللغة وكُل شيء، أتمنى أن تكونوا قضيتوا وقتًا ممتعًا مع الرواية.

## للتواصل مع الكاتب

facebook.com/mahmoodyousef.elkhawaga

## لتقييم الروايه علي جود- ريدز

goodreads.com/book/show/28588774

# تقييمك للكتاب

اكتب رأيك و صوره و نزله ع الفيس وإكتب هاشتاج #ورأيناه_شيطانًا

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

بتكتب روايات .. قصص .. شعر أو مقالات
بتكتب عربي أو انجليش ..
أو حتي بترسم .. تواصل معانا و هنساعدك
تلاقي مكان لابداعاتك


تواصل معنا:-
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
website : www.fasla.org
E-mail :- Fasla.Pub@Gmail.com
FB: فصلة للنشر والتوزيع -Fasla
Publishing